مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية

فقه الصلوات والمدائح النبوية

بحث جديد في فقه الصلوات على الرسول صلوات الله وسلامه عليه وملحقاتها وأنواعها، ثم في قضية الموالد النبوية، ومدائح الرسول وأهل البيت رضوان الله عليهم

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

فقه الصلوات والمدائح النبوية

مَطبوعَات وَرَسَائِل العَشِيرَة المحَمدِيَّة

الطبعة الثالثة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

رقم الايداع
٢٠١١/٨٥٥٨

فقه الصلوات والمدائح النبوية

بحث جديد في فقه الصلوات على الرسول صلوات الله وسلامه عليه وملحقاتها وأنواعها، ثم في قضية الموالد النبوية، ومدائح الرسول وأهل البيت رضوان الله عليهم

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

قدم لها وعلق عليها

محيي الدين حسين يوسف الإسنوي

تلميذ المؤلف ومن خريجي الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّم وبارَكَ على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

أما بعد: فهذه رسالة (فقه الصلوات والمدائح النبوية)، وهي حقاً كما وصفها شيخنا الإمام الرائد مؤلفها: «بحث جديد في فقه الصلوات على الرسول ﷺ، وملحقاتها، وأنواعها، ثم في قضية الموالد النبوية، ومدائح الرسول ﷺ، وأهل البيت رضوان الله عليهم». وقد كتبها شيخنا رحمه الله تعالى بأسلوبه السهل الموجز، الذي يفتح الأبواب للقارئ ليحلق في آفاق المعاني الجزلة.

وهذا الكتاب بقدر ما فيه من علم وثقافة هو منهج عملي يدفع الإنسان للتعلق بالحبيب المصطفى ﷺ، وكثرة الصّلاة والسّلام عليه، وانظر إلى ما كتبه شيخنا في معاني آية الصلاة والتسليم على النبي ﷺ، ثم ما أورده من أحاديث في فضل الصلاة والسلام، وما ورد من صيغ عن السلف الصالح، مما يجدد الهِمَّة والشوق، ويدفع إلى التطبيق العملي، وسلوك طريق الصالحين.

وإنك لتجد في ثنايا هذه الرسالة الكثير من كشف الشبهات ودفع توهم الخصوم في كثير من المسائل، خصوصاً حول الصلوات والبردة والدلائل، بحجج واضحة داحضة.

وقد قابلتُ النص على الطبعتين السابقتين:

١) الطبعة التي صدرت في عدد خاص من مجلة المسلم، السنة (٢٥)، العدد (٤-٩)، غرة ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ، الموافق ٢٤ من ديسمبر ١٩٨٤م.

٢) الطبعة التي صدرت في ١٩٨٥م، وطبعت في مطبعة الحضارة العربية بالفجالة.

ثُمّ قمتُ بتصحيح النص، وضبط ما يحتاج إلى ضبط، وعزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى أقرب مصادرها، وعلّقت على مواضع من الرسالة شرحاً وتفصيلاً وتوثيقاً.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وكتبه

محيي الدين حسين يوسف الأسنوي

هذه الرسالة الشريفة

فقه الصلوات والمدائح النبوية

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ، ورضي الله عن أشياخنا في الله، ورحم الله مَنْ سبقنا مِنْ إخواننا بالإيمان إلى الله، ووفق أحياءنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

وبعـــد:

إنَّ مِنْ فضل الله تعالى علينا أن وفقنا لكتابة هذه الرسالة المركّزة في فقه الصَّلَوَاتِ على سيِّد الكائناتِ، ثُمَّ فيما هو كالصَّلواتِ من المدائح النبوية، منثورة أو منظومة، في صورة دعاء أو ثناء.

وإنَّ الموفَّق إلى مطالعة هذه الرسالة سوف يستوعب خيراً كثيراً جداً علمياً وأدبياً ولُغَوِيّاً وروحياً وتاريخياً، لعله لم يتوفر على هذه الصورة في مكتوب سابق.

وإذا كان الفضل عائداً إلى الأزهر الشريف باختياره لشخصنا، لنشترك في شرف الحديث في المجال النبوي الأشرف، فإنّ الفضل كله عائدٌ إلى الله تعالى في توجيهنا إلى هذا الموضوع الذي يرجح أنه لن يطرقه أحدٌ ممن قد دعوا إلى الحديث في هذا المجال الفسيح العميق.

وإنّما أردنا بذلك خدمة هذا الجانب المنسي أو المتروك، مع محاولة ما وقفنا أنفسنا عليه من التقريب بين أهل القبلة وتجميعهم على خدمة الأهم، واغتنام الممكن، والتنزه عن الخلاف والاختلاف.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محمد زكي إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله ﷺ، ورضي الله عن أشياخنا في الله، ورحم الله مَنْ سبقنا مِنْ إخواننا بالإيمان إلى الله، ووفق أحياءنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

وبعــد: فقد أسعدني الأزهر الشريف - حفظ الله مناره، وخلّد آثاره، وضاعف أنواره وثماره - بأنْ طلب إليّ بحثاً في السيرة النّبوية، أشترك به في المؤتمر العالمي الذي سيعقد بالقاهرة بإشراف الأزهر، لبحث خدمة الإسلام والمسلمين مِنْ خلال السيرة المطهرة وعلومها.

ولسوء صحتي هممتُ بالاعتذار، لكنني رأيتُ أن سلسلة « فقه السيرة » تنقصها هذه الحلقة من المعرفة والتاريخ، فكتبتُها، ولا أظن أنني سُبِقْتُ إليها على هذه الصورة، فهي هدية إلى سيدنا رسول الله ﷺ رجاء الشفاعة، وأستغفر الله العظيم.

وقد حاولتُ جهدي أن أجعلها من أسباب التوفيق والتقريب والمحبة بين جماعات المسلمين .

كما حاولتُ جهدي أن أكتب بتركيز مطلق، وأن أجعل الإجمال والإنصاف خصيصة هذا البحث، ليكون أعمق وأعرق وأشوق وأشرق، حتّى إذا شاء اللهُ عدنا يوماً إليه، فكان كتاباً نافعاً لأهل القبلة فيما نأمل من فضل الله .

وفي معتكفي ومعاناتي الصحية كتبتُ هذا، راجياً أن يكون وسيلتي إلى الله في العفو والعافية إنْ كان في العمر بقية، وفي الرضا وحسن الخاتمة إذا كان قد حان الرحيل .

أسألُ اللهَ القبول، وأعتذرُ عن التقصير. ولا أزكّي على الله أحداً، والله الموفق والمستعان ،،،

محمد زكي إبراهيم

القسم الأول

مع آية الصلاة والتسليم

أدم الصَّلاة على النبيِّ محمَّد

فقبولُها حَتْمٌ بدون تردد

أعمالُنا بين القبولِ وردِّها

إلا الصَّلاة على النبيِّ محمد

فصلاةُ ربِّي عَدَّ أنفاس الورى

وسلامُهُ أبداً عليكم سيِّدي

والآلِ والصَّحْبِ الكرامِ ومَنْ تَلا

والصالحين على الدوامِ السَّرْمَدِي

مع آية الصلاة والتسليم

١) واجب الصلاة والسلام عليه ﷺ:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١).

إذا ذُكر سيدنا رسول الله المصطفى ﷺ كان أول ما يذكر به واجب الصلاة والسلام عليه. والحكمة في ذلك إيجابية بالغة، فالصلاة والسلام عليه مذكّرة بحقوق الله خاصة. ثُمَّ بحقوقه ﷺ. ثُمَّ بحقوق الإسلام عامة (٢).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦ .

(٢) قال شيخنا المؤلف رحمه الله: جاءت الصلاة في القرآن بمعنى العبادة في نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، وجاءت فيه بمعنى الدعاء في نحو قوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وجاءت في اللغة بمعنى الرحمة وبمعنى الثناء، ولكنها هنا أوسع وأجمع وأكمل وأشمل، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

* ومن هنا جاء الأمر بالصّلاة والسّلام عليه ﷺ في الآية، مؤكّداً من عدة جوانب:

أولاً: الإحاطة بأنّ الله تعالى يصلي عليه وملائكته، ولم يصرح في القرآن بمثل هذا ولا بنحوه لنبيٍّ من قبله ﷺ.

ثانياً: تأكيد الأمر بهذه الصّلاة ابتداء بحرف « إنَّ » مما يزيد في معنى التشريف والتكريم والأهمية والخصوصية.

ثالثاً: تأكيد السّلام عليه بقوله تعالى: ﴿ تَسْلِيمًا ﴾، وهو يفيد معنى تأكيد الصّلاة بمثل ذلك، من طريق الحذف الذي يدلُّ عليه ما بعده مبالغةً في البيان والطلب، فكأنه تعالى قال: « صلوا عليه صلاةً أو تصليةً، وسلموا عليه سلاماً أو تسليماً ».

والتأكيد المعنوي بصيغة التفعيل، يفيد التزام التكرار والعمق، ولا يكون التكرار والعمق إلا عن حكمة، لعلَّ منها هنا تجدد معاني الصّلاة والسّلام في نَفْس المصلّي، وتنوعها، فكأنه يطلب لرسوله ﷺ في كُلّ مرّة شيئاً جديداً من مراتب الكمال

عند الله، والكمال عند الله لا يتناهى، وكأنه بعميق التوجه في طلب الكمال لنبيه ﷺ يستشرفُ جانباً من الصفاء والرقة، فيصيبه نصيبٌ من الرُّوحانية والمدد، والتسامي إلى مراتب المقربين.

وبذلك تحصل بركة الصَّلاة والسَّلام على ذات المُصلِّي، على حين يؤدِّي حقّاً هو نوعٌ مستحبٌّ من العبادة، لا يُمَلُّ ولا يُستثقل.

وهنا قد يندمج المصلِّي في صلاته حتّى ليكون بشخصه كأنّما هو صلاة متجسدة.

رابعاً: في بلاغه عزَّ وجلَّ للنّاس، مؤكِّداً أنه يصلي على النبيِّ ﷺ إعلامٌ بأنه تعالى يحب ذلك، فهو يأمر به تكليفاً وتشريفاً معاً، حتى يشاركه عباده فيما أحبّه لنفسه، فقد أحب لهم ما أحبه لنفسه، فارتفع به من مرتبة ظاهر التكليف إلى مرتبة حقيقة التشريف، لتكون معاملته بطاعته فيما أحب لنفسه ولعباده، نوعاً من الفضل الذي يؤتيه الله لمن يشاء من عباده.

وإذا كان هذا هو شأن بقية الطاعات فهو هنا أعرق وأصدق.

خامساً: التعميم المطلق في قوله تعالى: ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ ﴾، دون تخصيص نوع أو طبقة معينة من الملائكة، إعلانٌ هائلٌ بمقام المصلّى عليه ﷺ. فحملة العرش ومن حوله. تدرجاً إلى ما فوق الإحصاء والحصر من الملائكة، في عرصات[1] الملك والملكوت وطبقات الغيب والشهادة، وعوالم الخلق والأمر ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[2]. كل أولئك بلا استثناء يصلون على النبي ﷺ. فأين هو العقل البشري الذي يدرك هذا المقام؟! أو يدرك سر الدعوة إليه؟!

سادساً: لهذا فسرنا الصّلاة عليه ﷺ من الله بأنها (عطاء إلهي). أي تامٌ عامٌ كاملٌ شاملٌ، لكُلِّ ما خطر على قلب بشر، من كُلِّ ما هو تقدير وتوقير وتشريف وتكريم. ومن كل ما يليق بتعطف الألوهية، على قمة المجد في البشرية.

---

(١) العرصة: وسط الدار، وهي البقعة الواسعة من الأرض ليس بها بناء. وتجمع على: عِراص، وعَرَصات، وأعراص.

(٢) سورة المدثر الآية ٣١.

فإنّ تقييد صلاة الحق تعالى هنا على حبيبه الأعظم ﷺ، وتفسيرها بخصيصة الرحمة أو المغفرة فقط، أو نحوها: تحكّمٌ لا دليل عليه[1]، وحسبنا قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[2]. ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[3].

---

(١) وهذا الذي ذكره شيخنا رحمه الله تعالى في معنى صلاة الحق سبحانه على نبيه ﷺ من أفضل التقريرات، وهو ما يقتضيه التحقيق، وحاصل ما ذكره الأئمة الثقات.

وقد نقل البيهقي في شعب الإيمان (٢: ١٣٣ – ١٣٤) عن الحليمي رحمه الله في معنى «اللهم صلّ على محمد»، قال: «اللهم عظّمه ﷺ في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته. وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين في اليوم المشهود».

وأورد ابن حجر الهيتمي في «الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ﷺ» (ص ٤٤) عن ابن عطية قوله: «صلوات الله على عبيده: رحمته وبركته وتشريفه إياهم في الدنيا والآخرة، ونشره الثناء الجميل عليهم؛ أي: فهي تشمل ذلك كله، لكن الذي لنبينا ﷺ منه هو أكمله وأعلاه وأشرفه وأتمه».

(٢) سورة الضحى: الآية ٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٠.

سابعاً: أمّا صلاة الملائكة، فلا شكَّ أنها (دعاء) بما أُلهِمهم الله تعالى الدعاء به لحبيبه الأكرم، فتحديده بالاستغفار وحده حُكْمٌ بلا دليل[1]، فقد يكون الله تعالى قد ألهم الجميع صيغة واحدة، وقد يكون قد عَلَّم أهل كل منزلة من ملائكته ما يليق بهم وبه ﷺ، وقد يكون قد وجَّه كل مَلَك بمفرده إلى دعاء خاص، وقد يكون غير ذلك من نفحات الفيض الرباني اللامتناهي.

ثامناً: أمّا صلاة المؤمنين عليه ﷺ فهي على ما نفهم: شُكْرٌ، ورجاءٌ، ووفاءٌ، وولاء.

فالمسلمُ يسأل الله تعالى كما يأمره الله، راجياً من الله أن يصلِّي ويسلِّم على النبيِّ ﷺ بما يشاء، كما يشاء، على ما يشاء، فيما

(١) قال شيخنا المؤلف رحمه الله: ثبتَ في القرآن أن الذين يحملون العرش ومَنْ حوله يستغفرون للذين آمنوا، فليس استغفارهم خاصاً برسول الله ﷺ [فلا شك أن صلاة الملائكة على الرسول ﷺ أعم من الاستغفار وأشمل، لأن الصّلاة على النبيّ ﷺ خصيصة له] كما تفيده آية الأمر بالصّلاة، فتأمّل.

يشاء، فليس من التفويض أن يقترح العبد على الله نوعاً معيناً من صنوف الصّلاة إلا ما كان إمعاناً في تنفيذ الأمر بالصّلاة في بحبوحة الحب .

تاسعاً: وقد عَلّمنا الرسول ﷺ أن نقول: « **اللهم صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ على إبراهيم وآل إبراهيم ... إلخ** » في ختام التشهد .

وليس المعنى أن تكون الصّلاة هنا هي عين الصّلاة هناك فـ ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1]، ولكن المعنى: إنك يا رب وقد صلّيت على إبراهيم بما هو أهله، فإن محمّداً أوْلى بصلاتك عليه أيضاً بما هو أهله . وكذلك الآل المكرمون .

وطلب البركة بعد ذلك . هو طلب مزيد من هذا العطاء المتزايد له ﷺ، وإذا كان الله قد تفضل فبارك (يعني ضاعف) عطاءه لإبراهيم عليه السلام، فأوْلى بفضله أن يضاعف هذا العطاء له ﷺ .

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٣ .

والتمثيل هنا للتقريب. في « كما صليت وباركت » باتفاق أهل العلم، كما ضرب الله المثل لنوره من المشكاة والمصباح. فسقط هنا الاعتراض بقانون المشبّه والمشبّه به.

عاشراً: وأمّا أنّ صلاة المؤمنين عليه ﷺ وفاء، فهذا أدنى حقوق الرسالة على المؤمنين، وقد أُخرجوا بها من الظلمات إلى النور، وكانوا خير أُمّة أخرجت للنّاس، فهي وفاء بالشكر لله على الرحمة المهداة ﷺ.

حادي عشر: بل إنّ في صلاة الملائكة عليه ﷺ مسحة أو لفتة من الوفاء أيضاً، ولو لم يكن منظوراً إلى خصوصها. أليس الله تعالى قد أرسله (رحمةً للعالمين)، أي رحمة لكل عوالم الغيب والشهادة، ما علمنا منها وما لم نعلم، ثُمّ أليس الملائكة عالما من هذه العوالم المرحومة به ﷺ، إذنْ فصلاةُ الملائكة عليه (منظوراً فيها إلى هذا المعنى) تعطي مسحة أو لفتةً من الوفاء، مقصوداً كان أم غير مقصود.

ثاني عشر: ولا بد هنا من وقفة هامة، فإنّ الذي يرحم الله به غيره، لا شك أحظى عند الله من المرحوم نفسه. والملائكة على

ضِمْنَهم مرحومون به ﷺ بمقتضى العموم في الآية، فاقتضى هذا نوعاً أكيداً من الأفضلية له ﷺ على عامّ الملائكة. فيكون مِنْ باب أَوْلى قد ثبتت له الأفضلية على ما سوى الملائكة مِنْ عوالم. فيكون أفضل الخلق كلهم: من الأزل للأبد ﷺ(١).

ثالث عشر: وأمّا أنّ الصّلاة (ولاء)(٢). فما لم يكن الولاء

---

(١) تضافرت النصوص على أفضليته ﷺ على جميع المخلوقات. قال العلامة إبراهيم اللقاني (ت. ١٠٤١هـ) في شرحه على قوله في «جوهرة التّوحيد»:

وأفضلُ الخلقِ على الإطلاقِ نبيُّنا فمِلْ عن الشِّقاقِ

«أفضليّتُهُ ﷺ على جميع المخلوقات مما أجمع عليه المسلمون، وأقام عليه قواطع الأدلة المحققون».

وقال العلامة أبو عبد الله محمد عليش المالكي (ت: ١٢٩٩هـ) في كتابه «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك»: «وقال الشيخ عبد السلام في (هداية المريد لجوهرة التوحيد): الظّاهر أنّ هذا الحكم واجبُ الاعتقاد على كل مُكلّف على ما يُؤخَذُ من ظاهر كلامهم، وصرّح به بعضُهم، ولفظ النووي: ولا بُدَّ من اعتقاد التفضيل. انتهى. ولا شكّ في عصيان منكره وتبديعه وتأديبه».

(٢) إن من أعظم ما تحتاجه الأمة في هذه المرحلة: إحياء روح الولاء في نفوس أبنائها، وتعزيز أسباب ارتباط أفرادها بالنبي ﷺ، ومن =

للنبي ﷺ، والانتماء إلى رسالته، فليس في الدنيا ما يستحق الولاء والانتماء، إلا أن يكون ولاء للجاهلية، وانتماء للحيوانية، مما تدعو إليه الشيوعية والعلمانية، ومذاهب الزنادقة والملاحدة.

رابع عشر: وفي الوفاء والولاء والانتماء معنى الشكر لله تعالى على هذا الفضل: فضل إرساله ﷺ، وفضل جعْلنا من أمته ﷺ، وفضل الأمر بالصَّلاة عليه، وفضل مضاعفة الثواب عليها، مع أنَّ الصَّلاة عليه ليست تفضلاً من المصلِّي، بل هي فرْضٌ بالاقتضاء الذاتي ثُمَّ بالتوجيه الإلهي، ثُمَّ بالواجب العام، ولكن فضل الله عظيم.

= ذلك تعظيم حرمته، ولزوم الأدب معه ظاهراً وباطناً، والانقياد له، والنهي عن فعل ما يخلّ بتعظيمه واحترامه إلى قيام الساعة.

والصلاة على النبي ﷺ من مظاهر هذا الولاء، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾. قال سهل بن عبد الله التُّستري في تفسيره (ص ١٢٦): «من لم ير نفسه في مِلْك الرسول ﷺ، ولم ير ولاية الرسول ﷺ في جميع الأحوال لم يذق حلاوة سنته بحال، لأن النبي ﷺ هو أولى بالمؤمنين. والنبي ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» [رواه البخاري ومسلم]».

٢) صيغ الصَّلاة والسَّلام:

من كل هذه المعاني التي قَدَّمْنا مجتمعة، ثُمَّ من الإحساس الإيماني المنبعث بالفطرة والوجدان في قلب المؤمن الحق، حباً في الله ورسوله ﷺ.

ثُمَّ من دراسات تاريخ النبوة، وأثر الرسالة على البشرية، وعلى كُلِّ نواحي الحياة الإنسانية، ودفعها إلى الطهارة المطلقة، وإلى التقدم الشريف، وإلى الحضارة المرتبطة بمعاقد العزّ العاجل والآجل.

ثُمَّ ممَّا حملته إلينا الأخبار الصادقة والآثار الكريمة من عظيم أخلاقه ﷺ ونموذجية حياته، وآدابه ومعاملاته، وروائع عبادته، وخوالد حقوقه على أهل دعوته، بل على الدنيا جميعاً.

مِنْ كُلِّ ذلك اشتد شَغَفُ قلوب خواص أمته بحبه ﷺ حباً جارفاً، جعلهم يتفنّنون في إظهار آثار هذا الحب، بكُلِّ ما أتيح لهم من صور التمجيد والتوقير والتعزير، حسبما وسع الجَهْدُ وبلغت الطاقة، على مراتب الآفاق والأذواق.

فألّفوا في الصّلاة والسّلام عليه صيغاً شتّى[1]، للإسفار عن مواجيدهم وشرف أحاسيسهم، حيث لم يأت تخصّص بالتزام صيغة معينة في الصّلاة والسّلام في غير المفروضات والنوافل.

وقد أخذوا هذا من سعة المعنى في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾[2]، والتعزير هنا هو التمجيد والتوقير، والتسامي بالمنزلة، والترفع في الأداء، والارتباط

---

(١) اهتمت الأمة بالصّلاة على النبي ﷺ، وتنوعت المؤلفات فيها، فمنها تلك الكتب المؤلفة في فضل الصلاة على النبي ﷺ، وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار، وهي أول الأنواع ظهوراً، ومنها كتاب «الصلاة على النبي ﷺ» للحافظ ابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١ هـ)، وكتاب القاضي إسماعيل بن إسحاق (ت: ٢٨٢ هـ)، ومنها الكتب التي جمعت صيغ الصلوات الواردة عن النبي ﷺ، وعن السلف ومن بعدهم، بقصد التعبد بها، وأشهرها «دلائل الخيرات»، ومنها الكتب التي جمعت المسائل والأحكام المتعلقة بالصلاة على النبي ﷺ، ومن أشهرها: «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام» لابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) رحمه الله، و«القول البديع في فضل الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (ت: ٩٠٢ هـ).

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

بالمقصودة، مع التنزه عن ملابسة المحظور في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (١). ثُمَّ ما جاء بعد ذلك من الآيات المتضمنة ضرورة التزام الأدب معه ﷺ، ثُمَّ ما جاء في صحيح الآثار من فرضية حبه، وتقديمه على النفس والأهل والولد والناس أجمعين.

كُلُّ هذا إلى ما جاء مرفوعاً وموقوفاً من الترغيب في إحسان الصلاة عليه ﷺ، بعد ما ثبت من الترغيب البالغ في كثرة الصلاة عليه، وأنَّ مَنْ صلَّى عليه واحدة صلَّى الله عليه بها عشراً، ومَنْ صلَّى عليه عشراً صلَّى الله عليه بها مائة، ومَنْ أكثر فالله أكثر.

هكذا جاء الترغيب في الصلاة عليه ﷺ مطلقاً، بلا قيد ولا شرط، إلا ما خالف المعلوم من الدِّين بالضرورة، وقد نبَّه إليه ﷺ في قوله: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» (٢)، فالممنوع أن نقول فيه ﷺ ما قال النصارى في

(١) سورة النور: الآية ٦٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٣٢٦١). والإطراء: هو الإفراط في المديح، ومجوزة الحد فيه، أو هو المديح بالباطل والكذب فيه.

عيسى عليه السلام، فتجعله إلهاً أو شبه إله، أو تجعله ولداً لله، تعالى الله عن ذلك. وإنما هو عَبْدُ الله ورسوله، أي بشر يوحى إليه، وللوحي شرائط وخصائص لا ترفض البشرية، ولكنها تميزها بأقباس أنوار روح القدس حتى تنفرد بتنزيل الأسرار الغيبية، من الملأ الأعلى هدايةً للعباد[1].

٣) مسلك الوضوح والتصريح:

وقد انفرد كثير ممن اشتهروا بحبّ رسول الله ﷺ بتأليف صيغ مختلفة المعاني والأبنية بين الشعر والنثر في الصّلاة والسلام عليه؛ يعبِّرون بها عن مكنونات الذات، وتأجج الأشواق، والعروج في مدارج السّالكين، ومعارج الواصلين. وجعلوها وسائل إلى الله سبحانه وتعالى، تخفف بها اللوعة، وترقأ الدمعة، وتزف المتعة، وتقرب النجعة.

---

(١) ورحم الله الإمام البوصيري إذ يقول في البردة:

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّصارَى في نَبِيِّهِمِ
واحكُمْ بما شِئْتَ مَدْحاً فيهِ واحْتَكِمِ

وقد سلك هؤلاء المحبون في أساليب صلواتهم مسلكين اثنين:

١) مسلك التصريح.

٢) مسلك الرمز والتلويح.

* وهنا نورد نماذج مما جاء على مسلك التصريح من الصلوات على سيد الكائنات ﷺ.

١ - من صلوات الإمام علي رضي الله عنه:

«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ وسَعْدَيْكَ، صَلَوَاتُ الله البَرِّ الرَّحِيمِ، والمَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، والنَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ، والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ، وَمَا سَبَّحَ لَكَ مِن شَيْءٍ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، عَلَى مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الله، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وسَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وإمَامِ المُتَّقِينَ، وَرَسُولِ رَبِّ العَالَمِينَ، الشَّاهِدِ البَشِيرِ، الدَّاعِي إِلَيْكَ بإِذْنِكَ، السِّرَاجِ المُنِيرِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيماً»(١).

وهي من الصلوات الجوامع المغنية عن الشرح والتعليق.

(١) أوردها القاضي عياض في «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ٢/ ٧٢.

٢ - من صلوات ابن مسعود رضي الله عنه:

« اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ، عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ. اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ عَلَيْهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ »(١).

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (رقم ٣١٠٩)، وابن ماجه في سننه (رقم ٩٠٦)، وأبو يعلى في مسنده (رقم ٥٢٦٧)، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١١٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٧١، والشاشي ٢/ ٨٩، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٠٨، والقاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ (رقم ٦١)، وقد حسنه الحافظ البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٦/ ١٦٧، وكذلك حسنه الحافظ السيوطي في تحفة الأبرار بنكت الأذكار (ص ١٤).

ولفظ ابن ماجه في سننه: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قال: فقالوا له: فعلمنا.

قال: قولوا:

اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ. =

تَمَّ ختمها بالصَّلاة الإبراهيمية المجيدة، وبينها وبين صلوات الإمام علي شبه كبير.

٣- صلاة الإمام الشافعي:

وهناك الصَّلاة المنسوبة إلى الإمام الشافعي رحمه الله، في كتابه: «الرسالة»[1]. وهي شهيرة منتشرة بين كل الطوائف

= وإمام المُتَّقِينَ، وخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، إمَامِ الخَيْرِ، وَقَائِدِ الخَيْرِ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ. اللَّهُمَّ ابعثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ، وعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ، وعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

(١) أوردها الإمام الشافعي في كتابه الرسالة (ص ١٦ رقم ٣٩)، ونصُّها: وصلَّى الله على نبيِّنا مُحَمَّدٍ كلَّما ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وغَفَلَ عن ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ. وصلَّى الله عليه في الأوَّلين والآخرين، أفضلَ وأكثرَ وأزكى ما صلَّى على أحَدٍ من خَلْقِهِ. وزكَّانا وإيَّاكم بالصَّلاة عليه، أفضلَ ما زكَّى أحدًا من أُمَّتِهِ بصلاته عليه. والسَّلام عليه ورحمةُ الله وبركاته. وجزاه الله عنَّا أفضلَ ما جزى مُرْسَلاً عن مَنْ أُرْسِلَ إليه؛ فإنَّه =

في كل المواطن. وكان الشافعية من علماء الأزهر وبعض علماء المذاهب الأخرى يختمون بها مجالس التدريس، والمجالس ذات الأهمية، وقد أشار إليها الإمام ابن حجر العسقلاني في فتاويه.

وبلغنا من كبار شيوخنا أنّ لجان امتحان (الشهادة العالمية القديمة) كانت إذا قررت نجاح الطالب ختمت جلستها بهذه الصَّلاة، « تتلوها اللجنة جماعة بصوت واحد رتيب حبيب، ثُمَّ

= أنقذنا به من الهَلَكة. وجعلنا في خير أُمَّةٍ أخرجت للنّاس، دائنين بدينه الذي ارتضى، واصطفى به ملائكته ومَنْ أنعم عليه مِنْ خلقه؛ فلم تُمْسِ بنا نعمةٌ ظهرتْ ولا بطنتْ، نلنا بها حظّاً في دِينٍ ودُنْيا، أو دُفِعَ بها عنّا مكروهٌ فيهما، أو في واحدٍ منهما: إلا ومحمَّدٌ صلى الله عليه سببُها، القائدُ إلى خيرها، والهادي إلى رُشْدها، الذّائدُ عن الهَلَكة وموارد السَّوْءِ في خلاف الرُّشْدِ، المُنَبِّهُ للأسباب التي تُورد الهَلَكة، القائمُ بالنصيحةِ في الإرشاد والإنذار فيها. فصَلَّى الله على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما صَلَّى على إبراهيم وآل إبراهيم، إنَّه حميدٌ مجيدٌ. اهـ

فهذه الصَّلاة من إنشاء الإمام الشافعي، ثم تبعه كثير من العلماء الشافعية وغيرهم على ذلك يتبركون بذكرها في مصنفاتهم. منهم الإمام البيهقي فقد ذكرها في الدلائل وفي السنن الكبرى وفي غير ذلك من مؤلفاته.. ومنهم الإمام النووي. والإمام السيوطي. وغيرهم.

يعقبون على الصَّلاة بقراءة سورة العصر، والتسبيح الوارد في ختام المجالس، فيعلم المنتظرون في خارج قاعة الامتحان أن الطالب قد كتب الله له النجاح ».

ولا يزال كثيرون من الصُّوفية الشَّرعيين على اختلاف مشاربهم يستفتحون أو يختتمون بها مجالس العبادة والمذاكرة وغيرها، ولعل من أسباب شهرتها حب الجماهير للإمام الشافعي، وحسن ثقتهم به، والرغبة إلى الله في التشبه به، والقدوة بعلمه وعمله.

ونصُّ هذه الصَّلاة(١):

« اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ، عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ، كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ، وغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ »(٢).

---

(١) أي فيما استقرَّ عليه العمل عند مشايخ الطريق وأهل العلم.
(٢) وقد أدركتُ - صغيراً - أهل العلم في صعيد مصر يختمون مجالسهم=

فتصوّر أنت مدى معلومات الله ومداد كلماته: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ (١). ثمّ تصوّر كل ذلك مكرراً كلما ذكر الله ورسوله، أو لم يذكر الله ورسوله (هذا منتهى الحب).

٤- صلاة الشاذلي:

ومن أشهر الصلوات الصريحة: الصلاة التي تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ونصّها:

« اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وحِينٍ ».

- بتلك الصيغة التي ذكرها شيخنا مع اختلاف يسير، فقد كانوا يقولون:

« اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلوقاتِكَ قَمرِ الهُدى، مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ ورسُولِكَ البشيرِ الأُمِّي. وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ ومِداد كَلِمَاتِكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرونَ وغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وذِكْرِهِ الغَافِلُونَ ».

(١) سورة لقمان، الآية ٢٧.

ولْـك أن تتصـور بمحدودية الخلق. عظمـة اللامحـدود عـزَّ وجلّ، ثُـمّ تتصـور بعد ذلـك قَدْرَ هـذه العظمة. ثُمّ قَدْرَ ما يناسـبها في كـمال أوهيبتهـا، لتسـتطيع أن تتصـور القـدر الهائـل اللامحـدود الذي يطلبه المصلّي بهذه الصيغة على رسـول الله ﷺ. وهـذه كانـت مِـنْ ألْـزم الأوراد اليومية الدائمة لكثير جداً من طوائف الشاذلية. (هذا غاية التقدير).

٥- صلاة الشيخ التازي:

ومن أشهر الصلوات بين المحبين، صلاة الشيخ [إبراهيم بن محمـد بن أعلي التازي (بالتاء والـزاي المعجمتين). وهي عندهم من المجرّبات في التوسـل بها إلى الله تعالى، وهذا يسموها الصَّلاة التازيـة (بالنـون والراء)، وهـي ممـا لا يخص طائفـة معينة، وكان أخونا في الله العالم العارف الشـيخ (محمـد أبوالعيون)[1] يلتزمها ويوصي بها مريديه، ونصُّها:

---

(١) من شـيوخ السـادة الخلوتية بمصر. أخـذ الطريق عن والـده الشـيخ إبراهيـم أبو العيون عن الشـيخ محمـود أفندي عوني عن الشـيخ أحمد الصاوي عن الشيخ أحمد الدردير العدوي.

« اللَّهُمَّ صَلِّ صَلاةً كامِلَةً، وسَلِّمْ سلاماً تاماً عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الذي تَنْحَلُّ بِهِ العُقَدُ، وتَنْفَرِجُ بِهِ الكُرَبُ، وتُقْضَى بِهِ الحوائِجُ، وتُنالُ بهِ الرَّغائِبُ وحُسْنُ الخواتِيمِ، ويُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ الكَريمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ في كُلِّ لَمْحَةٍ ونَفَسٍ بِقَدْرِ كُلِّ مَعْلُومٍ لَكَ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ».

وفي هذه الصَّلاة توسُّلٌ به ﷺ في حَلِّ العقد، وانفراج الكرب، وقضاء الحاجات ... إلخ.

٦- لفتة إلى التوسل:

وعلماء الصوفية يرون أنَّ التوسُّل إلى الله تعالى بالحيِّ أو الميت، ليس توسلاً بالجسد الفاني، وإنما هو توسُّلٌ بخصائص الرُّوح، والرُّوح هي الرُّوح بكُلِّ مميزاتها في الأرض وفي البرزخ، فالتوسُّل واقع في موقعه الصحيح، هنا وهناك، وهذا منطق حاسم(١).

---

(١) انظر كتاب شيخنا رحمه الله « الإفهام والإفحام أو قضايا الوسيلة والقبور »، ففيه تفصيل مسائل التوسل وأدلته.

٧- الصَّلاة العظيمية:

وهي منسوبة إلى الشيخ أحمد بن إدريس الشَّاذلي[1]، وسميت كذلك، لتكرار لفظ «العظيم» بين مقاطعها، تعبيراً عن أقصى ما يطلب الطالب، ويرغب الراغب، ويحب المحب لمحبوبه.

ونصُّها:

«اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ بنُور وَجْهِكَ العَظِيم، الذي مَلَأَ أرْكانَ عَرْشِكَ العَظِيم، وقَامَتْ به عَوَالِمُ الله العَظِيم، أن تُصَلِّيَ على سيِّدنا ومولانا مُحَمَّدٍ ذي القَدْرِ العَظِيم، وعلى آلِ نَبِيِّ الله العَظِيم، وأصحابِ نَبِيِّ الله العَظِيم، وأتباعِ نَبِيِّ الله العَظِيم، بقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِ الله العَظِيم، في كُلِّ لَمْحَةٍ ونَفَسٍ، عَدَدَ ما وَسِعَهُ عِلْمُ الله

(١) مؤسس الطريقة الإدريسية (ت: ١٢٥٣ هـ/ ١٨٣٧م). وسنده في الطريق الشاذلي من طريق سيدي محمد بن ناصر الدرعي، وقد جاور بمكة سنين كثيرة، وزار مصر والكثير من البلاد، وله ذرية بمصر والسودان والحجاز. وتفرعت عن طريقته الكثير من الطرق، منها: السنوسية، والمدنية، والميرغنية، والدندراوية، والجعفرية.

العَظِيمِ، صلاةً دائِمَةً بِدوامِ اللهِ العَظِيمِ، تعظيماً لحقِّ سيِّدِنا ومولانا مُحَمَّدٍ، ذي الخُلُقِ العَظِيمِ، وسَلِّمِ اللَّهُمَّ عليه، وعلى آلهِ وأصحابِهِ وأتباعِهِ مِثْلَ ذلك. واجْمَعْ بيني وبينَه كما جَمَعْتَ بينَ الرُّوحِ والنَّفْسِ (الجَسَدِ) ظاهراً وباطناً. يقظةً ومناماً. واجعلْه ياربِّ رُوحاً لِذاتي مِنْ جميعِ الوجُوهِ في الدُّنيا والآخرة، يا عَظِيمُ يا عَظِيمُ يا عَظِيمُ»(١).

وهذه الصَّلاةُ منظورٌ فيها إلى الأصلِ من صلاةِ الشَّاذلي، ممزوجاً برجاءِ الداعي، مفصّلاً بما يتمناه لنفسه من محبوبه. ويتقيد بهذه الصّلاةِ السادات الأدارسة ومَنْ وليهم من المراغنة، والدندراوية، وغيرهم.

---

(١) هكذا (بهذا اللفظ) أورد شيخنا الإمام تُرتنا رحمه الله هذه الصلاة هنا، وعنه تلقيناها، وصيغة هذه الصّلاة عند السادة الأدارسة قريبة من هذا. وقد تلقى شيخنا رحمه الله تعالى الطريقة الإدريسية عن والده بأسانيده، وعن الشيخ علي أبو النور الجربي بأسانيده، وعن غيرهم.

٨- صلاة الفاتح:

وتنسب هذه الصلاة أصلاً إلى الشيخ محمد البكري الصديقي[1]، وقد اقتبسها الشيخ البكري بالنص من بعض خطب الإمام علي رضي الله عنه، كما رواها ابن كثير في تفسيره، ورواها ابن قتيبة والطبراني وغيرهم باختلاف يسير[2]، وهي

---

(١) محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي، أبو المكارم شمس الدين (ت: ٩٩٤ هـ)، من كبار السادة الصوفية، له مؤلفات، وشعر جيد. مولده ووفاته بمصر. وهو المنعوت بأبيض الوجه. وإذا أطلق في كتب التاريخ والطبقات: القطب البكري أو البكري الكبير أو سيدي محمد البكري فهو المقصود. وقد ذكر في الأصل (الخلوتي) وهو سبق قلم والله أعلم.

(٢) أخرجها الطبراني في الأوسط (٩/ ٤٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٨٣)، وأبو نعيم في عوالي سعيد بن منصور (١٨)، وغيرهم.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٤): "سلامة الكندي روايته عن علي مرسلة، وبقية رجاله رجال الصحيح".

وقال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٦١): "هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه، وقد تكلم عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث، وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي ﷺ، إلا أن في إسناده نظراً".

جزء من دعائه المبدوء بقوله: « اللَّهُمَّ داحي المدحوات »، ثُمَّ اختارها الشيخ أحمد التيجاني، فاشتهرت به ونُسِبَتْ إليه، ولا يتعداها التيجانية إلى أية صيغة أخرى على الإطلاق، ويغلو قليل منهم في فضلها غلواً تتنزه حتى عن الإشارة إلى مضمونه الباطل، ونرى نحن أنه غالباً من المدسوس أو شطحات جهلة الأتباع، وقد وافقني على ذلك المرحوم الأخ السيد محمد الحافظ التيجاني إمام التيجانية بمصر.

ونصُّها:

« اللَّهُمَّ صَلِّ على سيِّدِنا مُحَمَّدٍ الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، والخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، والنَّاصِرِ الحقِّ بالحقِّ، والهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه، حقَّ قدره ومقداره العظيم ».

ولا يزال يتعبد بهذه الصيغة بعض الخلوتية، وبعض الشاذلية، وطوائف أخرى من الصوفية، غير التيجانية، تبركاً بمنطوق الإمام عليّ سيِّد الصوفية النقية.

ويقول بعض التيجانية: إن الشيخ أحمد التيجاني مؤسس الطريقة تلقى هذه الصَّلاة من الملأ الأعلى الذي تلقى منه الإمام عليّ، لكن على المستوى الأعلى عندهم، ويقولون مثل ذلك عن حزب النصر الشَّاذلي، وقد جعلوه من أورادهم، وهو تكلفٌ لا موجب له.

ولنكتف هنا بما اخترنا من أشهر الصَّلوات الصريحة المنثورة، فاستقصاؤها أمر يطول ويتشعب.

٩ الصَّلوات المنظومة الصريحة:

أمَّا الصَّلوات (الصريحة) المنظومة فكثيرة أيضاً، لكنها لم تنل من الشهرة والانتشار وحظ التعبد بها أو اتخاذها أوراداً راتبة، كالصَّلوات المنثورة.

(أ) ومن أشهر هذه المنظومات منظومة (المضرية) للبوصيري، ويستهلها بقوله:

يا ربِّ صَلِّ على المختارِ مِن مُضَرٍ

والأنبياء، وجميع الرُّسْلِ ما ذُكِروا

وصَلِّ ربِّ على الهادي وشيعتِهِ

وصحبِهِ. مَنْ لطَيِّ الدِّينِ قد نشروا

ثُمَّ نجعل نبتهل إلى الله أن يجعل هذه الصلوات عدد كل ما خلق وبرأ، من كل ما يخطر على بال بشر.

(ب) ثُمَّ تلي شهرة المصرية في المنظوم قصيدة (المحمدية).

وهي من التراث الذي لم يتحدد قائله بيقين[1]، وأول هذه القصيدة:

مُحَمَّدٌ أشرفُ الأَعْرابِ والعَجَمِ

مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يمشي على قَدَمِ

---

(١) وأكثرهم ينسبها للإمام البوصيري، وقد ارتبطت ببردة البوصيري ارتباطاً وثيقاً، فهي مطبوعة معها في أكثر طبعات البردة، إن لم يكن جميعها، وهي تُقرأ عقب قراءة البردة، وهي موجودة في ديوان الإمام البوصيري المطبوع.

وتستمر أبيات القصيدة كلها مبدوءة باسم (محمد ﷺ)، ولا يزال من المعتاد عند قراء (دلائل الخيرات) أو (البردة) أن يختموا مجالسهم غالباً بإنشاد هذه المحمدية.

٤) الصلوات الرمزية:

أولاً: المقصود بالصّلوات الرمزية:

إنما نريد بالصلوات الرمزية هذه الصيغ التي يتحدث فيها أصحابها عن تصورهم البالغ في الذات المحمدية الشريفة، وخصائصها الفريدة، سواء كان نتيجة لجهد فكري، أو تذوق روحي، أو إدراك قلبي، أو استغراق وجداني، أو انفعال عاطفي، أو مذهب فلسفي.

وقد يصعب تحديد كل نوع منها بحدٍّ معين، لتقارب المشابه والملامح، وكلها تلتقي في مجال الرمز والإشارة والتلويح والتلميح، وقد أغرق أصحابها في تحري الكنايات والمجازات والاستعارات، بما لا يفهمه إلا الخواص أو خواص الخواص.

ومن هنا تبدو خطورة فهم مضامين هذه الصّلوات على ظاهر اللفظ، والمفهوم المتعارف، فيتهم أهل هذه الصّلوات بها قد يكونون منه براء، ولكن هذه العبارات الموهمة في أقوالهم، لها مفاتيحها الخاصة، فإذا ألهم الله عبده هذه المفاتيح فقد رشد، ولأن يخطئ القاضي في العفو، خيرٌ ألف مرة من أن يخطئ في العقوبة، وإذا كانت الحدود تُدرأ بالشبهات فكيف بالأخطاء، على اعتبار بعض النّاس.

وقد نقل لنا التاريخ مما كتب ابن كثير، وابن الأثير، وغيرهما، عن الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري في مناظرته التاريخية للشيخ أحمد بن تيمية[1]، قال ابن عطاء الله لابن تيمية: إنَّ سلطان العلماء

---

(١) هذه المناظرة تشتهر باسم (مناظرة الأحمدين).

قلتُ: وقد ذكرها عبدالرحمن الشرقاوي في كتابه «ابن تيمية الفقيه المعذب» الفصل السابع (ص ٢٠١)، وهي على طريقة الشرقاوي وأستاذه طه حسين ومن تبعهم في مزج الحوادث التاريخية بالخيال، فالكاتب قرأ ما كتبه التاريخ عن ابن تيمية وابن عطاء الله رحمهما الله، ومن ثَمَّ أطلق العنان لخياله فتوهم هذا اللقاء وهذا الحوار، وأجاد سبكه، بتقمصه لشخصية، وخلطه بين التاريخ والخيال، وأوهم أن النصَّ كله منقولٌ من كتب التاريخ. وهذا أسلوب خطير.

(عز الدين بن عبد السلام) كان ينكر على ابن عربي وأمثاله أقوالهم، حتى هدى الله ابن عبدالسلام إلى مفاتيح رموزه وإشاراته، فرجع عن سوء الظن به إلى تقديره وإكباره، وحسن الظن به.

قلنا: وكذلك كان الشيخ محمد عبده، فقد نقل عنه أخونا في الله الناشر الإسلامي المرحوم الشيخ (حسام الدين القدسي)، تلميذه وحبيبه[1]، أنه بعد أن منحه الله مفاتيح كلام ابن عربي، أصبح يقرؤه كي يقرأ أي كتاب للسلف، وقد تأثر الشيخ محمد عبده بأسلوب ابن عربي وفكره العميق المحيط، فكتب الشيخ محمد عبده رسالته الدقيقة العميقة التي سماها «الواردات»[2].

---

(١) ليس المقصود بالتلمذة هنا التلمذة المباشرة، فقد توفي الشيخ محمد عبده في (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، وولد الشيخ حسام الدين القدسي في (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م)، والمقصود أن الشيخ القدسي بحكم كونه ناشراً إسلامياً كان عارفاً بالشيخ محمد عبده وتوجهاته.

(٢) «الواردات في سر التجليات». كما سماها مؤلفها في مقدمتها، أو «الواردات في نظريات المتكلمين والصوفية في الفلسفة الإلهية» كما هو عنوانها، طبعها الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة الشيخ =

وهي من مطبوعات (دار المنار)، وهي إكسير، أو عصير مركز من (الفتوحات)، فكان من العجب أن يعلّق الشيخ رشيد رضا على هذه الرسالة بأن الإمام محمد عبده إنما أراد بما كتبه (وحدة الشهود)[1] !! على حين أننا نرى أن الرجال أراد

= محمد عبده في الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الإمام الذي سمّاه «المنشآت» (١٩٠١م)، ثم أعاد طبعها مفردة، وضم إليها رسالة «العقيدة المحمدية» للشيخ محمد عبده أيضاً (١٩٢٥م)، وقد حذفت في الطبعة الثانية من المنشآت. وقد حاول الشيخ رشيد رضا أن يقلل من أهمية الرسالة، بإعلانه أن الشيخ قد تراجع عن كثير من النظريات التي دونها فيها، كما أنه علق على الرسالة بما يخدم مذهبه.

أما الدكتور محمد عمارة فقد جعلها لجمال الدين الأفغاني ونفى في الأعمال الكاملة أن يكون لمحمد عبده منها إلا المقدمة، وساق ما زعم أنه أدلة على ذلك، وبعض ما ساقه يكر على ما ذهب إليه بالبطلان، والأمر في الرسالة واضح بينه الشيخ في مقدمته للرسالة، وفي خاتمتها، واستفادته من الأفغاني وكونه مصدره وإمامه فيها لا ينفي نسبة الرسالة إلى كاتبها، خصوصاً بعد أن أثبتها لنفسه، ونسبها بيده للشيخ رشيد رضا، ولم يكتف الدكتور محمد عمارة بنفي نسبة رسالة «الواردات» عن الشيخ محمد عبده، حتى نفى نسبة حاشيته على شرح الدواني للعقائد العضدية !!

(١) وذلك في آخر رسالة «العقيدة المحمدية» المطبوعة مع الواردات. =

عين توحيد السلف، بأسلوب أهل الرمز والإشارة من الخلف .. ونعنيَ أذكر أنّ من فضل الله عليّ أن قرأتُ لتلاميذي ومريديّ بعض هذه الرسائل المرموزة والملغزة، ومنها رسالة " الزوراء " للجلال الدواني (١) ....

- عند قول الشيخ محمد عبده: « فإذا جدّ السير في هذا السبيل، وظلّ مقبلاً على الله في جميع شؤونه استحكمت في روحه أصول العرفان وفاضت على جميع مشاعره أنوار حب الإلهي، فغلب عقله الرّوحاني على كافة إحساساته، فذهل عن كل ما سوى الله، فلا يرى في الوجود إلا الذي تولاه، وهو الحق جلّ علاه ».

علّق الشيخ محمد رشيد رضا بقوله: « هذا ما يسمى وحدة الشهود، وهي حق بخلاف وحدة الوجود فهي باطل، وكان المؤلف ينكرها إلى آخر عمره رحمه الله تعالى ».

قلتُ: فخرّج الأستاذ رشيد رضا كلام الشيخ محمد عبده على وجه مقبول، بينما لا يقبل مثل هذا التخريج لكلام آخرين، ولو صرحوا بنفي المعنى الباطل !!

(١) جلال الدين محمد بن أسعد الدواني الصدّيقي الفقيه الشافعي (ت: ٩٢٨هـ)، ورسالته « الزوراء » في حقائق ودقائق التصوف، طبعت بالمطبعة الحسينية (١٣٢٦هـ)، ويقال لها: « الزوراء من الحكمة الزهراء »، وتسمى أيضاً: « الحوراء والزوراء »، وقد شرحها مؤلفها، كما شرحها عدد من العلماء.

ورسالة فضل الله الهندي(١)، والبهاء العاملي(٢)، وواردات محمد عبده، والطواسين(٣) والفصوص(٤)، فطوّعتُ العبارات

---

(١) يعني رسالة «التحفة المرسلة إلى النبي ﷺ»، وهي رسالة في معنى وحدة الوجود. لمحمد بن فضل الله الهندي البرهانپوري (ت: ١٠٢٩هـ). تلميذ المتقي الهندي صاحب كنز العمال، ألفها سنة (٩٩٩هـ)، قال المحبي في خلاصة الأثر: «وشرحها شرحاً لطيفاً أتى فيه بالعجب العجاب، واعتذر فيه عما يقع من محققي الصوفية من الشطح الموهم خلاف الصواب، اعتذاراً يقبله مَنْ أراد الله تعالى له الزلفى وحسن المآب». وعلى هذه الرسالة شروح كثيرة.

(٢) هو محمد بن حسين بن عبد الصمد بهاء الدين العاملي الهمداني (ت: ١٠٣١هـ)، من كبار علماء الشيعة، صاحب تصانيف، له حاشية على البيضاوي. ولعل شيخنا يعني رسالته: «الوحدة الوجودية».

(٣) ينسب للحسين بن منصور الحلاج (قتل: ٣٠٩هـ).

(٤) فصوص الحكم ينسب للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨هـ). طبع عدة مرات قديماً، ثم أخرجه الدكتور أبو العلا عفيفي (سنة ١٣٦٥هـ). وهو من أكثر النصوص الرمزية تعقيداً واستغلاقاً، حتى قال الدكتور أبو العلا في تقدمته له: «قرأتُهُ مرات ومرات، تارةً النص وحده، وتارةً النص مع بعض الشروح مثل شرح القاشاني وداود القيصري وعبد الرحمن جامي وعبد الغني النابلسي، ولكن الله لم يفتح عليّ بشيء! كنتُ أقرأ كلاماً عربيّاً مبيناً، وأفهم كل كلمة -

والمفاهيم فيها. للنصوص الصريحة من الكتاب والسُّنة، دون ما تطرف ولا انحراف ولا افتعال، فكانت أوقع في النفس، وأدنى إلى القبول والذوق، وأدخل في المعقول والمنقول، والحمد لله.. ولعلِّي أكون آخر مَنْ فعل ذلك من الدعاة المعاصرين.

وقد علَّمنا أشياخنا لزوم الاحتياط المطلق عند الحكم في هذا الجانب، فإنَّ إخراج المسلم من دين الله بشبهة قولٍ أو عملٍ قابلٍ للاحتمال مخاطرة، لا يقدم على اجترامها مسلمٌ يخاف الله ويحترم عقله وعلمه، بل علم وعقل الآخرين.

وإذا كانت الحدود - وهي على ما هي عليه من الخطر

= على حدَةٍ، ولا أستطيع فهم المضمون العام أو المعنى الكُلِّيّ لما يهدف إليه المؤلف». وعلى الكتاب شروح كثيرة جاوزت المائة، حاول الشراح فيها حل رموزه وحمل كلامه على أحسن وجوهه، وتكلَّف بعضهم ذلك، ورأى الإمام الشعراني والحصكفي صاحب الدر المختار، وشارحه ابن عابدين وطائفة أن الكتاب قد دُسّ فيه عليه يقيناً، وذهبت طائفةٌ إلى أن هذا المطبوع لا تصح نسبته إلى الشيخ الأكبر، منهم شيخنا عبد الرحمن حسن محمود رحمه الله، وصاحبه الدكتور محمود الغراب.

العظيم كما قدّمنا – إنما تُدرأ بالشبهات. فكيف بدقائق الفكر، وتنائي أبعاد المنطق والتعبير؟! وفي معنى الحديث الصحيح: «كُفُّوا عن أهل لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لا تخرجوهم من الإسلام بذنب أو عمل»[1].

ثانياً: موقف الإنصاف والاحتياط:

ويتلخص موقف السّادة رضي الله عنهم في أنه إذا احتملت العبارة التأويل أوّلناها، فإذا لم يتيسر لنا بَحثُنا، فلعلها

---

(١) عن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ الإيمانِ: الكَفُّ عَمَّنْ قالَ: لا إلَهَ إلا اللهُ، ولا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، ولا نُخْرِجُهُ مِنَ الإسْلامِ بِعَمَلٍ». رواه أبو داود (٣/ ١٨)، وأبو يعلى (٧/ ٢٨٧)، والبيهقي (٩/ ١٥٦)، وغيرهم.

وروى الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٧٢)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إلَهَ إلا اللهُ، لا تُكَفِّرُوهُمْ بِذَنْبٍ، فَمَنْ أَكْفَرَ أَهْلَ لا إلَهَ إلا اللهُ فَهُوَ إلى الكُفْرِ أَقْرَبُ». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٦): «وفيه الضحاك بن حمزة عن علي بن زيد، وقد اختلف في الاحتجاج بهما». وفي هذا المعنى كثير من الأحاديث، وانظر رسالة شيخنا: «أهل القبلة كلهم موحدون».

من المدسوس أو الدخيل، الذي لم يسلم منه عِلْم إسلامي، ولا كتاب للسلف، فإذا لم نصل إلى حكم، توقفنا وفوضنا، وذكرنا - بحسن الظن - أنهم اجتهدوا، وأنهم بشر، يجري عليهم الخطأ والصواب، فاستغفرنا لهم. ولا بأس من التنبيه إلى ذلك بشروطه، من باب النصيحة الواجبة. فليس أحد يقول أو يعمل ما يوقن أنه سيدخله النار.

وقد أصبح هذا الجانب - جانب الرموز والإشارات - (كما قررنا كثيراً) من الحفريات الفكرية، التي لم يعد لها طَلَبٌ إلا لمجرد التثقيف والعلم بالتراث، ولم يعد لها مَنْ يعتقدها أو يقتدي بها، ولا مَنْ ينشغل بتحليل ألغازها وأحاجيها، حتى يُخشى أثرها، أو يُتقى ضررها، إنما هي بقايا هياكل من الآثار الفكرية المحنطة في الكتب، والتي تُقصد للترفيه الذهني أو التاريخ أو التثقيف الخاص، أو للمشاغبة عند طلاب الدنيا باسم الدِّين، وهم الكثرة الغالبة في هذه الأيام.

فالاستشهاد بها على واقع ليست منه وليس منها، أو أخذُ الخلف فيها بذنب السَّلف (إن يكن هناك ذنب)، إنما هو شيءٌ من الانحراف العلمي والخلقي والعصبي، وهو إصرارٌ على التجني على النّاس بما ليس من مبادئ الإسلام.

وليس أنذل ممن يستأسدون على الموتى[1]. ولا ممن ينبشون المقابر احتساباً لوجه الشيطان والعرض الفاني، وأعجب العجب أن ننشغل بهذا عمّا بين أيدينا، وما تحت أسماعنا وأبصارنا، من المخاطر الرهيبة التي تحيط بالإسلام، من داخله ومن خارجه، حتّى كأنها قطع الليل المظلم أو أدهى، مما هو أجدر باستغراق الجهد والوقت مِنْ كُلِّ هذا. لمن شاء أن يستقيم.

* ولنبدأ الآن ببعض نماذج صلوات الرمز والتلويح والإشارة، مع نماذج من مفاهيمنا لها للبيان والإعزاز:

---

(١) يستأسدون على الموتى: أي يكون أحدهم أسداً إذا كان يهاجم ميتاً.

ثالثاً: صلاة ابن بشيش:

ولعلّ من أشهر صلوات الرمز والإشارة، صلاة الشيخ (عبدالسلام بن بشيش) شيخ أبي الحسن الشاذلي[1].

وهي صلاةٌ فيها شيءٌ من الطول بالنسبة لما قدمناه، وفيها من ألفاظ الرمز الموهمة ما نحب أن نشير إلى بعضه كنموذج للبعض الآخر.

وقد حظيَتْ هذه الصَّلاة بأن مزَجَها أو ضَمَّنَها كثيرٌ من خاصة سلف الصُّوفية، ومن أشهرها على الإطلاق: مزج وتضمين الشيخ أبي المواهب الشَّاذلي، حتّى لقد طغت صلاته الممزوجة على الصَّلاة المجردة الأصلية، فاتخذتها الأكثرية من فروع الشاذلية وِرْداً أساسياً لها، وفي مقدمة هذه الفروع جماعة «الفاسية» على اختلاف تسمياتها (المكية، والمدنية، والعُمْرانية، والعقَّادية) وغيرهم.

---

(١) تلقى الشاذلي عن الشيخ ابن حرازم، ثُمَّ عن الشيخ ابن بشيش، فهو شيخه الثاني الذي كان على يديه الفتح له.

وبقيتُ الصيغة الأصلية المجردة من المزج والتضمين، يتعبد بها قلة من الشاذلية الملتزمين.

وقد بدأ الشيخ ابن بشيش صلاته بقوله:

« **اللهم صلِّ على مَنْ مِنْهُ انشقَّت الأسرار، وانفلقت الأنوار** ...» إلى آخر الصيغة المعروفة.

وإليك نموذجاً من مَزْج وتضمين الشيخ أبي المواهب لهذه العبارات، فهو يقول:

« (**اللهم صَلِّ**) بجميع الشؤون، في الظهور والبطون، (**على مَنْ مِنْهُ انشقَّت الأسرار**) الكامنة في ذاته العلية ظهوراً، (**وانفلقت الأنوارُ**) المنطوية في سماء صفاته السنية بدوراً ...» إلى آخر الصيغة.

ومن الألفاظ المُوهمة في نصِّ الصَّلاة المجردة لابن بشيش قوله: « **إذ لولا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط** »، ونحن نفهم من الواسطة هنا مَثَلاً: واسطة الوحي إلى النَّبيِّ ﷺ، وواسطة النَّبيِّ ﷺ إلى الخلق، وواسطة العمل الصالح بأصول

الإسلام وقواعده وفروعه، وواسطة المعلم في بث العلم، والشيخ في التربية والسلوك ... إلخ. ولا نعلم في هذا حرجاً، ولا تكلفاً، فلولا هذه الوسائط لهلك الموسوط لا محالة.

ومن هذه الألفاظ أيضاً قوله: « **اللهم إنه سرُّك الجامعُ الدال عليك، وحجابُك الأعظمُ القائمُ لكَ بين يديك** ». ونحن نفهم من الحجاب أنه ستر الباب، فمن لم يدخل على الله من هذا الباب، باب محمد ﷺ ورسالته فقد ضل وذل.

ونفهم في قوله: « **وانتشلني من أوحال التوحيد** » أي من مشكلات هذا العلم ومخاطره الشديدة، من نحو القول بالتشبيه والتنزيه، والتمثيل والتعطيل، وقضايا القضاء والقدر، والأزلية والأبدية، والجبر والاختيار، وتعلق الصفات بالذات، والقدرة بالممكن والمستحيل، وخلق الأعمال، وهل في الإمكان أبدع مما كان ؟! ... إلى آخر هذه المزالق الرهيبة، وكلها بلا شك أوحال. فيكون المراد بالوحدة عند ابن بشيش: هي التوحيد الخالص من شوائب الشك والشرك، ما ظهر منه وما بطن.

رابعاً: العقائد المنحرفة:

ونقرر بهذا أننا نبرأ إلى الله تعالى من القول: باتحاد العبد بالرب، بمعنى حلول الرب في العبد، أو فناء العبد في الرب. ونبرأ إليه من القول: بوحدة الوجود، التي تجعل الكون هو الله، والله هو الكون، ونبرأ إليه من القول: بالحقيقة المحمدية، بمعنى أن محمداً هو الله، أو هو الكون، أو هو السر الخفي الذي استبطنته الخلائق منذ الأزل، فالأمر منه وإليه، ونبرأ إلى الله من القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، ومن كل فكر أو قول أو عمل، يخالف ظاهر الشرع الشريف، ونستغفر الله ونتوب إليه.

خامساً: ياقوتة الشيخ محمد الفاسي:

وإذا ذُكِرَتْ صلاة ابن بشيش فقد ذكرت بالتبعية: صلاة الشيخ محمد الفاسي المسماة بـ « الياقوتة »، فهي الورد التكميلي الملازم للصلاة البشيشية عند الفاسية بفروعهم خاصة، وعند كثير من فروع الشاذلية عامة.

وهذه الياقوتة صلاة طويلة أيضاً تحتوي قدراً كبيراً جداً من الألفاظ الموهمة والرموز التي تحتاج إلى شرح يرجعها إلى أصلها من الكتاب والسُّنة، على أسلوبنا الميسر الذي أسلفناه.

ولكنك تشعر فيها وفي صلاة ابن بشيش (المجردة أو الممزوجة) شعوراً ذاتياً عنيفاً بالبركة والإشراق، وبالصِّدق كُلّ الصِّدق في حُبّ رسول الله ﷺ، وبالإخلاص التام في توحيد الله، رغم ما تحتاجه الألفاظ من تحليل المعاني، وتحرير المقاصد، وكشف الإبهام والإيهام.

وقد بدأها الشيخ الفاسي ناظراً إلى استهلال صلاة ابن بشيش فقال:

« اللهُمّ صَلِّ وسَلِّم على مَنْ جعلتَهُ سبباً لانشقاق أسرارِكَ الجبروتية، وانفلاقاً لأنوارك الرحموتية ... »

إلى آخر الصيغة المعروفة.

سادساً: صلاة الشيخ البدوي:

ولابد من الإشارة هنا إلى صلاة (الشيخ أحمد البدوي) فهي منتشرة جداً بين أتباعه الكثيرين من رجال طريقته المتفرعة إلى نحو عشرين فرعاً. وهي صلاة قصيرة نسبياً.

فهو يستهلها بقوله:

«اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيِّدنا ومولانا محمَّدٍ شجرةِ الأَصْلِ النُّورانيَّة. ولمعةِ القَبْضَةِ الرَّحمانيَّة ... » إلخ.

ومفهوم هنا أن لفظ (الأصل)، ولفظ (القبضة). مرادٌ بها الإرادة الإلهية الأزلية، في علم الله القديم، إعمالاً لقوانين علم البيان.

أمّا قول الشيخ في آخر الصيغة عن الأنبياء أنهم: «منه وإليه ﷺ» أي أنهم أسرة واحدة، كما أشار إليه القرآن في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٣٣، ٣٤.

وكما جاء في الحديث الثابت أنّ «الأنبياء بنو علّات»[1].

سابعاً: صلاة ابن عربي:

ولابن عربي صلاة معروفة[2]، تغلب فيها الرموز والتلويحات، وهي بحاجة إلى حلّ ألغازها، وبحاجة لفك رموزها، بل يتوافق مع ظاهر الكتاب والسنة. وإن لم يكن كذلك عند أهل الفقه، فبلغة القوم وشوارق الأذواق. فأولئك الخبراء يجدون متعة وروحانية ومدداً كبيراً، وهم يقرءون أمثال هذه الصلوات، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥). وفيه: «أولاد علّات». وعند مسلم: «أبناء علّات» وفي «أخوة من علّات». وعند الطبراني في مسند الشاميين: «إن الأنبياء أخوة بنو علّات». وبنو علّات: أي أبوهم واحد، وأمهاتهم شتى.

(٢) وهي صلاة طويلة، أولها: «اللّهمّ أفض صِلَةَ صَلَوَاتِكَ وسلامة تسليماتك على أوّل التعينات المفاضة من العماء الرباني...». وقد طبعت في (١٩٦٣م) بعناية السيد محمد أبو القاسم الغزالي، وقد شرحها وعلق عليها العارف بالله الشيخ محمد يوسف الدلاصي.

(٣) سورة فاطر: الآية ١٤.

وقد اقتفى أثر ابن عربي عددٌ من الرجال في التأليف على منهجه، وحسبنا الإشارة إليهم. وفيما لا خلاف عليه غنىً عمَّا فيه الخلاف.

ثامناً: مجموعات الصلوات:

وحسبنا هذا القدر، كنموذج لصيغ الصَّلوات والتسليمات الصَّريحة والرمزية على أشرف أهل الأرض والسَّماوات.

وقد جمع بعضُ المحبين كل ما وقع لهم من الصَّلوات في رسائل خاصة، تيسيراً على العابدين، وربما كان من أجمعها كتاب «جامع الصَّلوات» للمحب النبهاني(١)، وتأتي من بعده مجموعة

---

(١) الشيخ القاضي العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت: ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م)، له الكثير من المدائح النبوية، وكتب الصلوات، منها الكتاب الذي ذكره شيخنا: «جامع الصلوات ومجمع السعادات في الصلاة على سيد السادات»، وله أيضاً: «أفضل الصلوات على سيد السادات»، و«سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين»، و«صلوات الثناء على سيد الأنبياء»، و«الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية».

«الشيخ الهاروشي»[1] سامحه الله، وكلا الرسالتين مطبوع متداول.

فقد ذكر الهاروشي - بحسن الظن لا محالة - لكلّ صلاة كل ما وصل إلى علمه من فضلها دون نظر ولا تدليل، فكان لا بد من الإشارة إلى حاجة مجموعته إلى التمحيص والتحقيق، فكثير منها فيه نكارة شديدة. وقد طبعها أخيراً بعض الصالحين بعد أن طهرها من كثير من المآخذ، ولكنها لا تزال في أشد الحاجة إلى مزيد من التنقية والتنقيح.

وهناك مجموعةُ صلوات الشيخ الدردير[2] رضي الله عنه،

---

(١) عبد الله بن محمد الخياط الهاروشي الفاسي ثمّ التونسي (ت: ١١٧٥هـ)، وكتابه هو: «كنوز الأسرار في الصلاة على النبي المختار»، وله عليه شرح وتعليق سماه «الفتح المبين والدر الثمين في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين».

(٢) العلامة أحمد بن محمد الدردير العَدَوي الخلوتي المالكي (ت: ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م)، وكتابه «الصلوات الدرديرية»، ويسمّى أيضاً: «المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق»، وقد شرحها الشيخ أحمد بن محمد الصاوي (ت: ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م) في «الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية».

وقد حشد إليها ما بلغه من الصّلوات، مع ما ألّفه هو منها، مرتبة على الحروف الهجائية، وهي مطبوعة معروفة متداولة بين أيادي فروع (الخلوتية) جميعاً.

ولعلّ الشيخ الدردير رضي الله عنه أراد بما جمعه من الصّلوات المنسوبة إلى مختلف الطرق أن يكسر حاجز الانفرادية المنتشرة بين الصوفية، وأن يبشر بدعوة التقريب والتعاون والمحبة، بين الصوفية الصّحيحين، فكلهم أسرة واحدة في المبدأ والمنتهى، وإن اختلفت المناهج ووسائل السلوك(١)، وهذا هو مبدؤنا وما ندعو إليه.

***

---

(١) فالصلاة على النبي ﷺ تلك العبادة المحببة إلى النفوس، المقبولة عند الله، التي اتفقت جميع المناهج والمشارب على أنها من أقرب الطرق الموصّلة إلى الله تعالى، بل ذكروا أن الصّلاة على النبي ﷺ شيخ مَنْ لا شيخ له، وأنها أعظم وسائل التربية والسلوك، بل هي واجب الوقت على المريد إذا فَقَد الشيخ المربِّي، وفي حديث أُبيّ بن كعب: «أجعَلُ لكَ صَلاتي كُلَّهَا؟ قال ﷺ: **إذَنْ تُكفَى همَّكَ، ويُغفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**» الكثير من الدلائل والإشارات.

أما وقد تحدَّثْنا عن الصيغ المفردة بقسميها: الصريح، والرمزي، وتحدثْنا عن مجموعات الصَّلوات. فقد بقي الحديث عن المؤلَّفات.

أولاً: الدلائل والأحاديث الضعيفة:

المعروف أنَّ أول مَنْ ألَّف جزءاً خاصاً بالصَّلوات[1] على سيدنا رسول الله ﷺ هو الشيخ الجزولي[2] المغربي، من الصوفية المُعْتَقَدين. وقد كتب الله تعالى لتأليفه المسمى «دلائل الخيرات» الانتشار الكبير والذيوع الكثير في العالم الإسلامي، حتى لا تزال تؤلَّف الجماعات، وتنظَّم التشكيلات، للتعبد بهذا التأليف

---

(١) أي ألف جزءاً قصد به جمع ما وصل إليه من صيغ الصلوات عن السابقين من الأئمة بهذه الصورة، وإلا فإنَّ هناك أجزاء في الصلوات قد سبقت كصلوات الشيخ محيي الدين بن عربي وغيره.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر سليمان الجزولي السملالي الحسني (ت: ٨١٠ هـ)، وقيل (٨٧٥ هـ).

المبارك، في كُلِّ أرضٍ مسلمة، من الخليج إلى المحيط، وحتى البلاد التي ترفض الجزولي ودلائله وأمثاله من المحبين.

وقد جاء في مقدمة «دلائل الخيرات» وبعض فصولها شيء من الأحاديث الضعيفة؛ بل والمكذوبة، في فضل الصّلاة والسّلام على سيِّدنا المصطفى ﷺ (١).

---

(١) وقد قام شراح دلائل الخيرات بتخريج أحاديثها، وشرح معانيها، ومن أشهر هذه الشروح: «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» للعلامة محمد المهدي بن أحمد الفاسي (ت: ١١٠٩هـ). وهو العمدة كما ذكر صاحب كشف الظنون (١/ ٧٥٩)، و«بلوغ المسرات على دلائل الخيرات» للعلامة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي (ت: ١٣٠٣هـ)، و«الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات» للقاضي الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت: ١٣٥٠هـ).

بل وأفردت المؤلفات في تخريج أحاديثها، ومن ذلك: «تخريج أحاديث دلائل الخيرات» للشيخ أبي رأس محمد بن أحمد الجليلي المعسكري (ت: ١٢٣٩هـ)، و«تخريج أحاديث دلائل الخيرات» للشيخ محمد بن عبد الله الزوائد (ت: ١٣١١هـ).

ولا ندري إنْ كان هذا مما استهوى المؤلِّفُ بما فيه من المبالغات والصور والتهاويل ، بحكم البيئة ، ومقتضى العصر ، فوضعه[1] - بحسن الظن ، وصدق الحب - في مقدمته ترغيباً في هذه العبادة المحبية . وبخاصة أن الرجل غير متخصص في علم الحديث ، فتعيّن تأكيد اعتبار حسن الظن به ، فليس مثله مَنْ يؤلِّف ليكذب على النبي ﷺ ، وليدخل بذلك النَّار ، وكل ابن آدم خطاء ، ومهما حاول الاحتياط والتحرز فلا بد من التقصير ، ومثل هذا التقصير مغفور بالشَّرع والوضع ، وكل ما يجب على أهل العلم هو التخلص منه ، والتنبيه عليه ، والاعتذار عن الرجل ، كما فعل الإمام العراقي مع الإمام الغزالي في الإحياء .

ثُـمَّ لا ندري أيضاً إنْ كانت هذه الموضوعات المكذوبة مما دسّه النَّاس بسوء الظن ، ولؤم الغرض ، أو بحسن الظن في هذا المؤلف ، بعد أن انتشر بين يدي مَنْ يعلم ومَنْ لا يعلم . ومَنْ يبني

---

(١) فوضعه في مقدمته : أي جعله فيها . وليس المقصود هنا مصطلح «الوضع» المعروف عند المحدِّثين .

ومَنْ يهدم. فالواجب تنقية هذه المجموعة من هذه المآخذ بالحكمة والموعظة الحسنة [1].

وقد اندس الدخيل في كل كتب الصالحين، فليس بغريب أن يندس في مثل هذا التأليف أيضاً.

١ - أسماء النبي ﷺ في الدلائل:

وقد أخذ بعضهم على الجزولي أنه ذكر لرسول الله ﷺ نحو مائتي اسم. بينما أن الذي جاء منها على لسان الرسول ﷺ لا يتجاوز نحو خمسة أسماء على مختلف الروايات.

والواقع أن الجزولي تتبع جهده كل ما جاء في القرآن والسنة وغيرهما من أوصاف رسول الله ﷺ، فجمعها على أنها أسماء للرسول ﷺ، وإنما هي أوصاف كلها صحيحة صادقة في ذاته فكأنها أسماء له ﷺ.

(١) فالواجب التنقية والبيان، والتخريج، على طريقة أهل العلم والحكمة، لا الإبادة ولا نصب العداوة.

وقد انفرد الجزولي بهذا(١)، وكان من تكريم الله، أن زُيِّنت بعض جدران المسجد النبوي الشريف بتسجيل هذه الأسماء بخط نادرة الدنيا في الخط العربي (المرحوم الخطاط عبدالله زهدي التركي)(٢) الذي شرفه الله تعالى بكتابة كل ما نقرؤه على جدران المسجد النبوي القديم، من لوحات خطية غاية في

---

(١) أي بجمع هذه الأسماء بهذه الصورة وهذا العدد على ذلك الترتيب الذي ذاع بين الناس واشتهر.

وقد ذكر القاضي عياض في كتابه «الشفا» للنبي ﷺ تسعة وتسعين اسماً، وعدّ الحافظ السيوطي رحمه الله في كتابه «النهجة السوية في الأسماء النبوية» الذي اختصره من كتابه «الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة» قريباً من خمسمائة اسم، وحكى ابن العربي عن بعض الصوفية أنها ألف اسم. وذكر ابن فارس أنها ألفان وعشرون اسماً، وجمع النبهاني نحو ثمانمائة وستين اسماً في كتابه «الأسمى فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسماء» وفي منظومته «أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل ﷺ» بل وأفردت أسماؤه ﷺ في الإنجيل كرسالة: «اسم نبي الإسلام في إنجيل عيسى عليه السلام» ورسالة: «محمد ﷺ هكذا بشرت به الأناجيل».

(٢) توفي عبدالله زهدي أفندي سنة (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م). ودفن في القاهرة بالقرب من ضريح الإمام الشافعي رحمه الله.

الإعجاز والأصالة، والفتح الإلهي، مما لا يدرك قيمته إلا أهل صناعة الخط وخبراؤه والمتمكن من كبار الفنانين.

٢- حلقات الدلائل:

ولا تزال رسالة «**دلائل الخيرات**» تطبع بالبلايين، في البلاد الإسلامية، ويتبرك بها النَّاس من كل طريقة ومذهب في كل مكان، ولجلالة قدرها جعلوها مقياساً لما استُحدث بعدها من صيغ ومؤلفات في مادتها.

فتجد مثلاً في مجموعة (الهاروشي) أنَّ الصَّلاة الفلانية تعدل كذا من دلائل الخيرات (بلا دليل علمي أو شرعي طبعاً) مما يدلُّ على حدة المنافسة، وشدة الغيرة، ومحاولة اللحاق بما خصَّ الله به هذا التأليف المبارك، من الذيوع والانتشار.

وقد أوقف كثيرٌ جداً من أهل الخيرات أوقافاً شتَّى على قراء (**الدلائل، والبردة، وحزب البر**) في المساجد الكبرى والصغرى والزوايا، ولا زالت حلقات هذه القراءات منعقدة في أماكنها،

وبخاصة في الليالي المباركات، دون نظر إلى الأوقاف التي انتُهبت أو تقلصت أو وُجهت إلى جهات أخرى، ولا يزال أهل الصفاء والمودة مع رسول الله ﷺ يجدون في هذه المجالس روعةً وجلالاً وطاقةً روحانيةً غامرةً لا يتذوقها إلا أهل الأذواق.

ثانياً: تأليف ابن إدريس والمرغني:

وقد ألّف الشيخ أحمد بن إدريس صلوات في جزء خاص، وكذلك الشيخ المرغني رحمهما الله ورضي الله عنهما، غير أنّ مؤلَّفَيْهما ظلا محدودَيْن في مريدي كُلّ منهما وأتباع طريقتيهما، فلم تكتب لهما العالمية والانتشار، الذي كتب للدلائل، رغم الجهد المبذول والتأليف، والطباعة والتوزيع[1].

(١) الشيخ أحمد بن إدريس (ت ١٢٥٣هـ): شاذلي الطريقة أصلاً، والشيخ (محمد عثمان) المرغني (ت: ١٢٦٨هـ): شاذلي نقشبندي جمع عدة مشارب.

وهذه المحدودية المذكورة إنما هي بالقياس إلى دلائل الخيرات، ومقارنة بها، لا في نفس الأمر، ولا مقارنة بغير الدلائل.

ثالثاً: أنوار الحق:

وكان من فضل الله على مصر في هذا العصر أنْ وَفَّقَ اللهُ عبدَهُ الصالح العارفَ أخانا في الله (الشيخ عبدالمقصود سالم) رحمه الله تعالى[1]، فأتمه كتابة هذا المؤلف الفريد الذي سماه « أنوار الحق في الصَّلاة على سيد الخلق ﷺ » .

وهو مُؤَلَّفٌ يجمع مع سمو العبارة، وروعة الديباجة، وحلاوة السجعة، وطرافة المعنى: يجمع مسحة جديدة من ألوان الأدب الصوفي الرفيع، والسمو الرُّوحاني الجذاب، في انسياب ذوقي رباني، لا يكون إلا لأهل الله.

والأخ الشيخ عبدالمقصود بذاته وتاريخه شيء غير مكرر، فقد علَّمه الله تعالى، ولم يتعلم في كُتَّاب ولا مدرسة، ولم يتخرج في جامع ولا جامعة، ففسَّر ما شاء الله من القرآن، وألَّف ما شاء الله

(١) مؤسس جمعية تلاوة القرآن الكريم بالقاهرة. له عدة مؤلفات أشهرها: في ملكوت الله مع أسماء الله، توفي في (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

من الرسائل، دون تكلف ولا افتعال دعاوى ولا غايات، كما وصل في عمل المعاش إلى رتبة كبار ضباط البوليس.

وله ابتهالٌ جيِّدٌ سمَّاه «في ملكوت الله» جديرٌ بأنْ يُسلَك في مستويات البلاغة والرُّوحانية الفريدة.

ومما يدلُّ على فضل هذا الرجل أنه اتخذ الأخ الدكتور حسن جاد[1]، عميد كلية اللغة العربية، مراجعاً لكتاباته، حتى لا يخطئ اللغة التي كان لا يجيدها تماما.

وقد انتشر مُؤلَّفه «أنوار الحق» بين أحباب رسول الله ﷺ في الوطن الإسلامي، حتى ليكاد يذكر عند مثقفي الصوفية كلما ذكرت «دلائل الخيرات»، وإذا كان لبعضهم عليه بعض المآخذ، فهي من القشريات الهامشية، التي لا تستوجب المؤاخذة والبيان، وقد نختلف نحن معه في بعض ما سجَّل في كتبه، غير أنه اختلافٌ في الرأي أو الرؤية، فليس بشيء.

---

(١) من شعراء العشيرة المحمدية، توفي (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)

رابعاً: مؤلفات أخرى:

وثَمّت في هذا المجال مؤلفات محلية أخرى يطول استقصاؤها، وهي بذاتها وأثرها محدودة، غير ممدودة. غير أني أشير إلى مؤلف بسيط في الصلاة على النبيّ ﷺ لأحد أقطاب الموسيقى المعاصرين بمصر، يقرر أنه كتبه، وهو يتمم دراسته الموسيقية في (أوربا)، وقد قرظه المرحوم الشاعر الصوفي الأستاذ عبد الله شمس الدين[1] بقصيدة في آخره.

وقد لوحظ أنَّ مؤلف هذا الكتاب استقام للدعوة الصُّوفية يوماً، واجتمع عليه نفرٌ من النَّاس، وبخاصة أهل الفن، وكان تابعاً للشيخ ابن إدريس، وله صديق ملازم من أكبر مؤلفي الموسيقى كذلك، استقام للدعوة الصوفية على الطريقة الشاذلية، وجمع عليه نَفَرٌ من النَّاس بمنطقة الهرم، ثُمَّ موسيقيٌّ ثالثٌ أسسَّ طريقة سماها (الحسينية)، واجتمع عليه نَفَرٌ يتلاقون بمنطقة (برقوق) وصلاح سالم.

---

(١) من الشعراء المحدثين (ت: ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٧م)، أشهر قصائده النشيد الوطني «الله أكبر فوق كيد المعتدي» الذي كتبه (١٩٥٦م).

وثلاثتُهم يدور في حلقة الحب لرسول الله ﷺ، ولكن خلطهم بين الذكر والموسيقى الشرقية والغربية بكل أنواعها، مما لا يقبله شرع الله أبداً. ولا يقره التصوف الإسلامي بحال، رغم افتراض حسن النية وصدق الحب، فإنما يُعْبَدُ الله بما شرع، لا باللهو ولا بالبدع، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

خامساً: قولهم عدد كذا وكذا:

وقد يستلفتُ النظر أحياناً حرص المصلين عليه ﷺ على الدعاء، بأن تكون صلاتهم عدد كذا وكذا، وقدر كذا، أو زنة كذا، وكثيراً ما زعم بعضهم أنها من المستحدثات، وعلّق عليها بما يطيب له، مما يظن أنّه الصواب.

والواقع أن لذلك أصلاً مؤصّلاً في شرع الله، وفي فطرة البشر، فهذه العباراتُ أصداءٌ من أثر صدق الحب وترامي أبعاده، وهي تصعيد إنساني رفيع لانفعالات النفس الشريفة بأحاسيس الحب الشريف لرسول الله ﷺ.

وهذا هو سيدنا المصطفى ﷺ يطلب الصلاة عليه ﷺ كما صلى الله على إبراهيم، ومعنى هذا طلب صلاة عظيمة محيطة جامعة شاملة، بل أعظم وأبلغ. فاللفظ شامل بمعناه كل ما يقال من عدد كذا، وقدر كذا، ومن كل ما أتى ويأتي على ألسنة المصلين عليه ﷺ، من تفخيم وتعظيم هذه الصلاة.

وقد روى الترمذي والنسائي وابن حبان أن الرسول ﷺ قال لـ (جويرية) أم المؤمنين: ألا أعلمك كلمات تقوليها ؟

« سبحان الله عدد خلقه (وكررها ثلاثة)، سبحان الله رضا نفسه (وكررها ثلاثة)، سبحان الله زنة عرشه (وكررها ثلاثة)، سبحان الله مداد كلماته (وكررها ثلاثة) »(١).

وروى الطبراني أن الرسول ﷺ قال لأبي أمامة: أَفَلا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ اللهَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ؟ تقول:

« الحَمْدُ للهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، والحَمْدُ للهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، والحَمْدُ للهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، والحَمْدُ للهِ عَدَدَ

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٥٦، والنسائي في الكبرى ٦/ ١٩٤، وابن حبان ٣/ ١١٠. والحديث أخرجه مسلم (٢٧٢٩).

مَـا أَحْـصَى كِتَابُهُ، والحَمْدُ لله مِـلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُـهُ، والحَمْدُ لله عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، والحَمْدُ لله مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ. وَتُسَبِّحُ اللهَ مِثْلَهُنَّ ».

ثُمَّ قالَ ﷺ: « تَعَلَّمْهُنَّ وعَلِّمْهُنَّ عَقِبَكَ مِن بَعْدِكَ »(١).

وقد ثبت صحيحاً عن رسول الله ﷺ أنه حث كُلَّ الحث على أن يقال: « سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته »(٢).

هذا هو الأصل المؤصّل، الذي لا يقبل التشغيب، ولا ينبغي معه اللجاج ولا المعارضة. وفي الصحاح لذلك أشباهٌ ونظائر، ذكرناها في كتابنا « أصول الوصول ».

على أنه يجب وجوباً علمياً قطعياً أن يكون مفهوماً دائماً، أنه ليس كل ما لم يأت بنصّه يكون محرّماً، أو تنسحب عليه قوانين (البدعة المستنكرة)، فهذا حكم جاهلي أحمق مرفوض من كل الوجوه.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٣٨)، وفي الدعاء (٤٩٥).
(٢) انظر تخريج حديث أم المؤمنين جويرية، وهو الحديث قبل السابق.

سادساً: ختام القسم الأول:

إلى هنا أرجو أن أكون قد أصّلتُ لقضية الصّلاة والسّلام على رسول الله ﷺ [1]، وبيّنتُ تدرجها العلمي والتاريخي والأدبي.

غير أنه مما لا بد من تسجيله هنا، هو أن هذا الجانب قد استحدث في الأدب العربي تياراً فكرياً جديداً، وأسلوباً تعبيرياً متميزاً، وأثرى الجو المعنوي في الأدب العربي ثراءً عظيماً على كل المقاييس.

* * *

(١) ولشيخنا المؤلف الإمام الرائد رحمه الله (الصلاة المحيطة) وابتهالات وتوجهات وأناشيد في كتابه (في حضرة الله)، وفي كتابه (المحمديات)، وفي غيرهما من كتبه.

أولاً: لمحة من فضل الصَّلاة عليه ﷺ:

١ - روى ابن عساكر: قال ﷺ: « أكثروا الصَّلاة عليَّ، فإنَّ صَلاتَكمْ عليَّ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِكُمْ، واطلبوا لي الدَّرجَةَ والوَسِيلَةَ، فإنَّ وسيلتي عند ربي شفاعتي لكم »(١).

٢ - وروى البخاري في التاريخ، وابن حبان، والترمذي، قال ﷺ: « إنَّ أَوْلى النَّاس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة »(٢).

٣ - وأخرج إسماعيل بن إسحاق القاضي، عن أنس رضي الله عنه، [قال أبو طلحة رضي الله عنه:] إنَّ رسول الله ﷺ قال: « أتاني آتٍ من ربي، فأخبرني أنّه لن يصلي عليَّ أحد من أمتي إلا ردها الله عليه عشر أمثالها »(٣).

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٦١/ ٣٨١) عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ١٧٧)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٩٣)، والترمذي (٢/ ٣٥٤) وقال: حسن غريب.

(٣) رواه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ (١).

٤ – وأخرج[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عليه بها عشراً »[2].

٥ – وأخرج النسائي بسند صحيح، عن أنس رضي الله عنه قال: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ. ورُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ »[3].

---

(١) أي: إسماعيل بن إسحاق القاضي.

(٢) رواه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩). والحديث رواه مسلم في صحيحه (٤٠٨).

(٣) رواه النسائي في سننه (المجتبى) (٣/ ٥٠)، وفي سننه الكبرى (١/ ٣٨٥، ٦/ ٩٨).

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥١٦، ١١/ ٥٠٧) عن عبد الله بن عمرو قال: مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ. وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ.

وروى النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢١): « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ. وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، ومَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ».

٦- وفي الحديث الثابت عنه ﷺ قال: «إنَّ البخيلَ كُلَّ البخيلِ[1] مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ»[2].

قلنا: وذلك أنه لم يبق بعد البخل بالصلاة إلا البخل بالشهادة له (ونستغفر الله).

٧- وجاء صحيحاً مرسلاً قوله ﷺ: «مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلم يصل عليَّ فقد خطئ طريق الجنة»[3].

---

(١) لفظ «كل البخيل» الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (١/ ٢٩٦)، ورمز له: هب (أي: البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٠١)، والترمذي (٢/ ٢٧١)، وابن حبان (٣/ ١٨٩)، والحاكم (١/ ٥٤٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٤)، وأبو يعلى (١٢/ ١٤٧)، والطبراني (٣/ ١٢٧)، وغيرهم.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٥٠٧)، والقاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٤١-٤٤)، عن محمد بن علي مرسلاً صحيحاً. ووصله الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٢٨)، من طريق محمد بن بشير الكندي، وليس بالقوي، وله شاهد يقويه عند ابن ماجه (٩٠٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٨٠) عن ابن عباس رفعه: «من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة»، وضعفه البوصيري (١/ ١١٢)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٣٥) عن أبي هريرة رفعه.

نقول: ومَنْ خطئ طريق الجنة أين يذهب إلا إلى النَّار؟!

٨- وروى المنذري عن ابن ماجه، والطبراني عن أبي الدرداء قال ﷺ: « **أكثروا الصَّلاة عليَّ في يوم الجمعة، فإنَّه يوم مشهود، تشهده الملائكة، ليس مِنْ عَبْدٍ يصلي عليَّ فيه إلا بلغني صوته حيث كان** »[1].

قلنا: تأمَّل قوله ﷺ: « **بلغني صوته حيث كان** » إنَّ في ذلك لعبرة لمن ينكرون علاقة حياة البرزخ بالحياة الدنيا، (ولا خصوصية، فقد صَحَّ أن الموتى يردون سلام الزائر ويعرفونه ويأتنسون بمجلسه).

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (١٦٣٧)، ولفظه: « **وإنَّ أحداً لن يصلي عليَّ إلا عُرِضَتْ عليَّ صلاته حتى يفرغ منها** » قال: قلتُ: وبعد الموت؟ قال: « **وبعد الموت، إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** » فنبيُّ الله حيٌّ يرزق. واللفظ الذي ساقه شيخنا هنا رواه يحيى بن سلام في تفسيره (٢/ ٧٣٧ برقم ٥٣٧)، وعزاه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في «سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ» للطبراني عن أبي الدرداء، وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ١٢٧) بهذا اللفظ، وساق إسناد الطبراني إلى أبي الدرداء.

٩ - وروى الترمذي بسند حسن صحيح، أن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عليك، فكم أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فقال ﷺ: مَا شِئْتَ. قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قال ﷺ: ما شِئْتَ فإِنْ زِدْتَ فهو خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قال ﷺ: ما شِئْتَ فإِنْ زِدْتَ فهو خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قال ﷺ: ما شِئْتَ فإِنْ زِدْتَ فهو خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قال ﷺ: إِذَنْ تُكفَى هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ[1].

١٠ - وأخرج ابن إسحق القاضي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله، ولم يصلوا على نبيهم ﷺ فيه إلا كان مجلسهم عليهم تِرَةً يوم القيامة. إنْ شاءَ عفا عنهم، وإنْ شاءَ أخذهم»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٣٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد (٥/ ١٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٥٧)، وغيرهم.

(٢) رواه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٥٤). ورواه أحمد (٢/ ٤٨٤)، والطبراني في الدعاء (١٩٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣٠)، والبيهقي في السنن (٣/ ٢١٠)، وغيرهم.

و(التِرَة) بكسر التاء وفتح الراء: الإثم والخطيئة. وفي بعض روايات هذا الحديث، ذكر الممشى والموقف كما ذكر المجلس.

١١ - وفي شرح الشفا، عن عمر قال: الدعاء والصَّلاة معلقة بين السماء والأرض، لا يصعد إلى الله منه شيء حتى يُصَلِّى على النبي ﷺ[١].

١٢ وروى البيهقي، والطبراني، والضياء المقدسي، والبزار، وعبد الرزاق. قوله ﷺ: «لا تجعلوني (أي في الدعاء والصَّلاة) كقدح الراكب، فاجعلوني في وسط الدعاء وأوله وآخره»[٢]

والمراد بقدح الراكب: وعاء الماء، إن كان مملوءاً شرب منه وتوضأ، وإلا أهرق ما فيه وتركه، بمعنى عدم الاهتمام والإهمال. ونستغفر الله من ذلك.

---

(١) شرح الشفا للخفاجي (٣/ ٥٠٦). وروى الترمذي (٢/ ٣٥٦) عن عمر موقوفاً: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢١٦)، والبزار (كشف الأستار ٣/ ٢٨٦)، وعبد الرزاق في المصنف (٢/ ٢١٥).

١٣ – وقد ثبت في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عليَّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة»(١).

وهذا بابٌ فسيحٌ جداً يُرجَع إليه في الكتب الأصول والمطوّلات.

ثانياً: من فضل الصَّلاة على آله ﷺ وذريته:

في كل ما علمنا الرسول المصطفى ﷺ من الصَّلاة عليه، كان أمره بالصَّلاة مقرونة بآله ﷺ.. «اللهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ» كما في صلاة التشهد على صيغها المختلفة. وهي أصح وأفضل الصَّلوات عليه ﷺ.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٣): «رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيد، ورجاله وثقوا». قال المناوي في فيض القدير: «رمز لحسنه. قال الحافظ العراقي: وفيه انقطاع» ثم ساق كلام الهيثمي وقال: «لكن فيه انقطاع لأن خالداً لم يسمع من أبي الدرداء».

وقد روى أبو الشيخ عن الإمام علي رضي الله عنه، قال ﷺ: «الدُّعَاءُ مَحْجُوبٌ عن الله حتى يُصَلَّى على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ»(١).

ومن صحيح الصلوات المأثورة عنه ﷺ: «اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ. كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(٢).

وفي روايات أخرى صحيحة كلها ذكر الزوجات الطاهرات، والذرية الشريفة، وقد نقلها الشيخ الألباني في كتابه «صفة صلاة النبي ﷺ»، وقد نقل القاضي عياض في الشفا، وابن إسحاق القاضي في فضل الصّلاة على النبي ﷺ كثيراً من الصيغ الصحيحة، التي تدور حول هذا المعنى.

---

(١) رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب (انظر: كنز العمال ٢/ ٧٨). ورواه ابن مخلد في المنتقى (٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢١٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٢٠)، قال الحافظ المنذري: «رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً. ورواته ثقات، ورفعه بعضهم. والموقوف أصح».

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٧٤)، وعبد الرزاق في المصنف (٢/ ٢١١).

ومما جاء عن الحسن البصري دعاءه:

« اللهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابِهِ وأولادِهِ وأزواجِهِ، وذريتِهِ، وأهل بيتِهِ، وأصهارِهِ، وأنصاره، وأشياعه، ومحبيه، وأمته، وعلينا معهم أجمعين، يا أرحم الراحمين »[1].

وفي خطب سيدنا الإمام علي صيغٌ لا تحصى من هذا اللون الجامع، يقول صاحب رسالة « الوسيلة إلى شفاعة صاحب الوسيلة»: إنَّ قولَه ﷺ أي عند ذكر الصّلاة والسّلام عليه « قولوا، وصلوا، وسلموا » كل منها أمر، والأمر للوجوب إلا إذا صرفه عن ظاهره صارف.

قلنا: لا صارف على الأصح. وبهذا أخذ الإمام الشافعي عندما أكد وجوب الصّلاة على آله ﷺ في التشهد بخاصة، وقال رضي الله عنه:

---

(١) أورده القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (٢/ ٧٢)، قال: « مَنْ أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل...»، وذكره.

يا آل بيت رسول الله: حبكمو

فرضٌ من الله في القرآن أنزلـه

يكفيكمو من عظيم القدر أنكمو

مَنْ لم يصلِّ عليكم، لا صلاة له

أيّ لا صلاة كاملة، والصَّلاة والسَّلام عليهم جزء من مودتهم التي قررتها الآية: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ (١)، ومحاولة صرف لفظ «القربى» إلى غير أهل البيت نوعٌ من التكلف والإسفاف، وربما أوحى بانعدام الولاء للنبي ﷺ وآله رضوان الله عليهم.

ثالثاً: إحسان الصَّلاة والسَّلام عليه:

وكان مما تلقيت عن أشياخنا أن نقرأ آية الأمر بالصَّلاة على رسول الله ﷺ، ثُمَّ نقول:

«اللهُمَّ إنَّكَ سَألْتَنَا مِنْ أَنْفُسِنا ما لا نَمْلِكُهُ إلا بِكَ، اللهُمَّ فَهَبْ لنا منه ما يُرْضِيكَ عنَّا، ويُرْضِي رَسُولك ﷺ».

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

ثُـمَّ نُصَلِّي بالوارد، وهو الصَّلاة الإبراهيمية (صلاة التشـهد المعروفة) على رواياتها المتعددة التي ينبغـي البدء بها قبل غيرها، ثُمَّ نضيف إليها ما يفتح الله به على أوليائه الصَّالحين، من الصَّلاة والثناء عليه ﷺ.

وقـد جاء عـن ابن مسـعود رضي الله عنه مرفوعـاً وموقوفاً (عند ابن ماجه وغيره):

« إذا صليتُـم عـلى رسـول الله ﷺ فأحســنوا الصَّـلاة عليه، فإنكـم لا تـدرون، لعـل ذلك يعـرض عليـه ». ثُـمَّ علمهم ابن مسعود الصَّلاة فقال:

« اللَّهُـمَّ اجْعَـلْ صَلواتِـكَ وَرَحْمتَـكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى سَـيِّدِ المُرْسَـلِينَ وإمَامِ المُتَّقِينَ وخاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إمَامِ الخَيْرِ وَقَائِدِ الخَيْرِ وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ ... »[1] إلى آخره.

فكأن هذا الحديث مع ما ورد عن عليّ رضي الله عنه وبعض

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٨.

الصحابة والتابعين ومن بعدهم مِنْ براهين الحث على التفنن في حسن الصلاة والسلام عليه، وبذل الجهد في التأليف فيها، خصوصاً بعد ما ثبت فيما قدّمنا من الأحاديث أنه ﷺ حيٌّ في قبره، حياةً برزخية بالغة السمو، وأنه تبلغه صلوات المصلين عليه، وأنه يسمع أصواتهم، بالإضافة إلى معرفته لزائره وورد السلام عليه[1].

ومفهوم ما ورد من الأحاديث في هذا الجانب: أنّ الصلاة عليه ﷺ درجات، منها: ما يبلغه به الملائكة، ومنها ما يعرض مباشرة عليه، ومنها ما يسمع أصوات المصلين عليه، بحسب حال المصلّي عند الله، وعلى مقدار صدقه وإخلاصه.

وفي الشفا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم إنّي أسألُكَ أن تصلّيَ على محمّدٍ عَبْدِكَ ونبيِّكَ ورسولِكَ أفضل ما صليت على أحَدٍ مِنْ خلقِكَ**»[2].

---

(١) وراجع جزء الإمام البيهقي في حياة الأنبياء عليهم السلام.

(٢) أورده القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٦٦/٢).

فالباب إذنْ واسعٌ بحمد الله، وهو ما لا يزال عليه العالم الإسلامي مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْد.

أمّا تضييق هذا الباب (الواسع بالعلم والعقل والشرع والفطرة)، فنزعٌ من الشذوذ والمرض النفسي الخبيث.

رابعاً: نعم، الرسول ﷺ سيدنا:

لا خلاف في أنّ ما جاء على لسان رسول الله ﷺ في شؤون العبادة، يتعين اتباعه بلا زيادة ولا نقص، ففي الأذان وفي التشهد يذكر اسم الرسول ﷺ بلا لفظ السيادة، اقتداءً به، وتطبيقاً لسنته، ويمكن أن يطمئن الأخوة المتمسكون بلفظ السيادة، في الأذان والتشهد، أدباً منهم مع النبي ﷺ وحباً له، إلى أنّ الأدب معه ﷺ إنما يتحقق بمتابعته ﷺ، فالاتباع جزء من الأدب، والأدب جزء من الاتباع.

وأعرف عن كثير من الإخوان ما أعرف من نفسي، وهو صعوبة النطق باسمه ﷺ مجرداً من السيادة، غير أنني أستعيض

عن النطق بالسيادة بالوجدان القلبي، والشعور الذاتي بسيادته المتحققة التي ينطق بها باطني جميعاً ما دمتُ في الصلاة أو في الأذان، أما فيما عدا ذلك فلا عذر لكائن من كان أن يعتذر عن النطق بالسيادة بمقولة: إن الله أكرمه ﷺ بها في الواقع ونفس الأمر، فليس هو إذن في حاجة إلى أن نذكره بها.

نعم: ليس هو في حاجة إلى ذكره بالسيادة منّا بها، ولكننا في أشد الحاجة إلى الأدب معه وتعزيره وتوقيره، والله تعالى يقول: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾(١)، بقدر ما أكرم الذين عزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه. والتعزير: هو الإجلال والتوقير والتمجيد في القول والعمل.

وقد كرم اللهُ رسولَه ﷺ في القرآن أبلغ التكريم، في أكثر من آية، وعلى أكثر من مجال، وأنت واجدٌ أعظم التكريم في آية الأمر بالصّلاة والسّلام عليه. ففي كل ذلك حثٌّ بالغ وتوجيهٌ سابغ في جانب من يكرم نفسه بذكر السيادة في غير الأذان والتشهد، وقد

(١) سورة النور: الآية ٦٣.

جاء في حديث أبي داود وأحمد وابن ماجه قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(١).

فالسيادة ثابتة له بالفطرة وبالأصل، وبالنبوة الخاتمة والأمر الواقع، فأي ضرر يعود على أصول الإسلام أو فروعه، إذا نحن ذكرناه بالسيادة في غير الأذان والتشهد؟(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٦٣٠)، وأحمد (٣/ ٥٤٠)، وابن ماجه (٤٣٠٨).

(٢) قال المؤلف رحمه الله: وإن كان لبعض الأئمة رأي آخر من أثر شدة حب رسول الله ﷺ وتقديره، فهم لا يرون بأساً بذكر سيادته في الأذان والتشهد والإقامة رضي الله عنهم. ومن أحكم ما يُروى عن الإمام الشافعي قوله: «إن الله لا يعاقب على فعل اختلف فيه العلماء». بل ونقل المواق في «سنن المهتدين» أن الإمام العز بن عبدالسلام نصّ على أن ما اختلف في مشروعيته ففعله أولى، ورجحه القرافي. وفي كتاب «الصلات» أن العز بن عبدالسلام فضّل سلوك الأدب بذكر النبي ﷺ بالسيادة في الأذان والتشهد والإقامة. وبهذا أفتى إمام الحرمين الجويني، وفي «النوازل» أفتى العز بن عبدالسلام بجلد وسجن من يقول بترك سيادة الرسول ﷺ. ونقله أيضاً صاحب «إكمال الإكمال» [الأبي المالكي]. والصوفيون يُحتّمون ذكر السيادة في القلب في الصلاة، كما نص عليه ابن عطاء الله السكندري.

إنَّ ترك سيادته هنا يكون إنكاراً للواقع، وتجنياً على الفطرة والحقيقة، ووقوعاً تحت شهوة الغرور والفشل الذوقي، وتصعيداً عما في النفس من شذوذ وانعكاس، وتخاذل وجداني.

أليس يقول الله تعالى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [1]، أفلا تصل رتبة سيدنا المصطفى ﷺ إلى رتبة يحيى بن زكريا ؟!

لقد روى البخاري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « **أبو بكر سيِّدُنا وأَعْتَقَ سيِّدَنا** »[2] (أي بلال)، فمن الذي قال إن أبابكر وبلالاً يستوجبان السيادة، أمّا رسول الله ﷺ ففي المسألة نظر؟!

ألم يرو البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود قوله ﷺ لصحابته عند قدوم (سعد بن معاذ) رضي الله عنه: « **قوموا لسيِّدكم** »[3]؟

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

(٢) رواه البخاري (٣٥٤٤).

(٣) رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٧٠)، وأحمد (٦ / ١٤١)، وأبو داود (٤/ ٣٥٥).

وقد نقل المحدِّث الغُماري في كتابه «الرد المحكم» بسند ثابت أن (سهل بن حنيف) حين أمره الرسول ﷺ أن يتعوّذ من الحُمّى، فقال له: «يا سيدي»[1] ولم ينكر عليه. (رواه أحمد في المسند والنسائي بسند قوي).

وقد ثبت في البخاري أنَّ النبي ﷺ نهى أن يقول العبد لمولاه: (ربي)، وأذن له أن يقول: (سيدي)[2]، وهناك حديث: «كل ابن آدم سيد»[3]. قال الذهبي: رواته ثقات[4].

ولقد عجبتُ أشد العجب من بعض المنسوبين إلى العلم والسلفية المعاصرة يؤلِّفون بجهد خارق دائب كتباً كاملةً

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٨٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٧٢، ٢٥٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٥٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٢٤١٤)، ومسلم (٢٢٤٩). ولفظ مسلم: «**ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي**».

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٨٤)، والديلمي في الفردوس والديلمي (٣/ ٢٦٢)، وأبو بكر المقرئ الأصبهاني في «الفوائد» (١٥٨). ولفظه: «**كل نفس من بني آدم سيد**».

(٤) انظر. سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢).

متلاحقة في إنكار النطق بسيادة رسول الله ﷺ مطلقاً بدعوى البعد عن الشرك، وهي دعوى مردودة من كل وجه، والإصرار على ذلك أمره مشبوه ومقزز معاً، وأعجب من كل ذلك قولهم أن رسول الله ﷺ لم ينطق بها، وهل كل ما لم ينطق به الرسول ﷺ يكون حراماً ؟! لقد نطق بها حين قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1] أليس كذلك؟! وهل كان من المعقول أن يقول عن نفسه (سيدنا محمد) ؟

إنَّ رجلاً ما، مهما هبطت منزلته، لا يقبل أن يُنادى باسمه مجرداً، حتى أولئك الذين يؤلِّفون في الإنكار على سيادة الرسول ﷺ . فأيّ أدب هذا ؟!

إنها التوافه التي تنشغل بها عن المهمّات. ولقد مرّ على المسلمين الآن نحو (١٤) قرناً ونصف، وما عَبَدَ واحدٌ منهم الرسول ﷺ . ولا قال: إنّه إله، أو رب، أو معبود، أو نحو ذلك، ولن يكون ذلك بإذن الله.

---

(١) سبق تخريجه ص ٨٩ .

ثُمَّ إنَّـه لا تناقض أبداً بين ما ذكرت وبين قوله ﷺ: « السيِّد الله تبارك وتعالى »[1] للوفد ذكروه بالسيادة، فإنَّ سيادة الله (سيادة ألوهية سرمدية) تناسب قدره العظيم، أمّا سيادة العبد فسيادة فانية بكُلِّ قيود العبودية وحدودها.

وهذا بالضبط نظير صفة العلم والحياة والسمع والبصر وغيرها، فهي مضافة إلى الله تعالى بما هو أهله، ثُمَّ هي مضافة إلى الخلق بما هم أهله، ولا تنافي ولا تناقض، ولهذا نرى الرسول ﷺ قال لهذا الوفد الذين ذكروه بالسيادة: « قولوا بقولكم، ولا يستجرينكم الشيطان »، على أن مالكاً رضي الله عنه كره أن يُسمَّى الله بـ « السيد » لأنه اسم لم يرد في نصوص الأسماء الحسنى!!

وهذا القول مشروح بقوله ﷺ: « لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ »[2].

---

(1) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤)، وأبو داود (٤/ ٢٥٤)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٧٠)، وغيرهم.
(2) سبق تخريجه ص ٢٥.

إذنْ فالممنوع أن نقول فيه ﷺ أنه إلـه أو ابن إله، ولهذا نراه ﷺ استمع إلى كل مَنْ مدحه بهذا الشرط من الخطباء والشعراء، ولم ينكر عليهم.

ويعلَمُ الله أننا كنّا في غنى عن كُلِّ ذلك، لولا الإلحاف في الجرأة المستديمة على هذا المقام الكريم.

« اللهم صَلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلى أصحابِ سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلى أنصارِ سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلى أزواجِ سيِّدِنا محمَّدٍ، وعلى ذُرِّيَّةِ سيِّدِنا محمَّدٍ، وسَلِّمْ وبارِكْ بها أنت أهْلُه، وما هو أهْلُه يا رب العالمين ».

خامساً: خوارق ليلة المولد وغيرها:

وقد شاع في الأمداح النبوية منثورة أو منظومة، ذكر بعض ما جاء من أخبار الخوارق في ليلة المولد، ومنها زلزال إيوان كسرى، وخمود نار فارس، وغيضان بحيرة ساوة (بفارس أيضاً)، كما قد يَذْكُر المادحون أيضاً: قصة شهادة الضب، وتسليم الغزال،

واستجارة الجمل، وحديث الذئب، ونطق الحمار، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى، ونبع الماء، وتكثير الزاد.

ولا أرى حَرَجاً على مَنْ ذكر هذا[1]، وإنْ ضعف إسناد بعضه، فقد وقع ذكر بعضه في صحيح ابن حبان، كما ذكر بعض أمثال ذلك ابن جرير الطبري في (التاريخ)، وأبو نُعَيم في (الدلائل)، والبيهقي في (الدلائل) أيضاً، والقسطلاني في (المواهب)، والزرقاني في (شرح المواهب)، والسيوطي في

(١) أي: إذا لم يكن يعلم أنه موضوع.. والواجب على مَنْ كان مِنْ أهل العلم أن يتحرى الصحيح والحسن ونحوه عند ذكره للأحاديث النبوية، لشدة الوعيد الوارد في الكذب على رسول الله ﷺ، ولقوله ﷺ فيما رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٩): « مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ ».

وكلام شيخنا رحمه الله تعالى هو في الاعتذار عن الذين وقعوا في هذا الأمر، وليسوا من أهل الحديث، والتماس العذر لهم، وليس هو بذريعة لمن أراد أن يتعمد ذلك.. وقد جمع العلامة المحدِّث عبد الله بن الصدِّيق الغماري رحمه الله تعالى شيئاً مما اشتهر في كتب المولد، وهو موضوع أو منكر أو واهي، ونبه عليه في كتابه: « إرشاد الطالب النجيب إلى ما في كتب المولد النبوي من الأكاذيب ».

(الخصائص). والصالحي في (السيرة). وغيرهم، فصحّ العذر لمن ذكر ذلك في المدائح والموالد. فليس كل أصحاب الموالد والمدائح من علماء الحديث. وحسبهم ذكر ذلك في أكثر من كتاب معروف.

ثُمَّ إذا جاء نُقّاد الحديث بعد هذا فقالوا بقولهم في بعض ذلك فهو حقهم، ولكن لا ينبغي تفسيق القائل به ولا تأثيمه. فإن كان الحديث ضعيفاً فقد جاز الأخذ به هنا عند كافة الأئمة، وإن كان دون ذلك حملنا مدح المادحين على خيال الشعراء. وأثر الحب النبوي، وهذا باب واسع فسيح جائز باتفاق أهل العلم، وليس هذا مما ينال من عظمة الرسول ﷺ. بل إنه قد يزيد في إيمان بعض الناس. وقد تأصّل عندهم التصديق الفطري بما لا يخل بحق الرسول ﷺ.

ومن واجب أهل العلم التزام الإشارة الرقيقة إلى هذه القضية. وبخاصة أنها لا تتعارض مع أصل أو فرع في دين الله. وقد أطنب الحافظ قطب الدين في استيعابها في (شرح السيرة).

وتبعه الحافظ مُغْلَطاي (بضم الميم) في (الزهر الباسم) وغيرهم وغيرهم، فالأمر هين في ذاته، وفي أثره، ثُمَّ إن نقله إلى أحكام الأصول، بعيد كل البعد عن الصواب، والانشغال بالتوافه عن العظائم، وهنا يأتي الحرام الذي لا خلاف عليه.

ويجب أن يؤخذ في الاعتبار قول الإمام المحدّث الشيخ علي القاري في كتابه «المصنوع في الحديث الموضوع» ما نصُّه: «لا احتمال أن يكون الحديث موضوعاً من طريق، صحيحاً من آخر. لأن هذا كله بحسب ما ظهر للمحدِّثين، من حيث النظر إلى الإسناد، وإلا فلا مطمع للقطع في الاستناد، لتجويز العقل أن يكون الصحيح في نفس الأمر موضوعاً، والموضوع صحيحاً إلا الحديث المتواتر»(١).

وقد قال بهذا القول كثير من كبار علماء الحديث فلتفت النظر إليه.

---

(١) انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للشيخ علي القاري ص ٤٤، وكلام الشيخ هو في الحديث الذي اختلفوا فيه بين الوضع وغيره.

قال الشيخ العجلوني في مقدمة (كشف الخفا):

« والحكم على الحديث بالوضع والصحة أو غيرهما، إنما بحسب الظاهر للمحدِّثين، باعتبار الإسناد أو غيره. لا باعتبار نفس الأمر والقطع، لجواز أن يكون الصحيح مثلاً - باعتبار نظر المحدِّث - موضوعاً أو ضعيفاً في نفس الأمر، وبالعكس...

نعم المتواتر مطلقاً قطعي النسبة لرسول الله ﷺ اتفاقاً. ومع كون الحديث (غير المتواتر) يحتمل ذلك. فيعمل بمقتضى ما يثبت عند المحدثين، ويترتب عليه الحكم الشرعي المستفاد منه للمستنبطين »[1].

فالحملة على خوارق ليلة المولد بصفة خاصة، وبقية الخوارق المنسوبة إلى رسول الله ﷺ بصفة عامة، حملة يجب أن تعرف مكانها وحجمها من العلم الإسلامي السمح الصحيح.

* * *

(١) انظر: كشف الخفا للعجلوني ١/ ٩.

القســم الثاني

المولــد

أَبَـانَ مَوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُنْصُـرِهِ

يَـا طِيـبَ مُبْتَـدَإٍ مِنْـهُ وَمُخْتَتَـمِ

يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فِيـهِ الفُـرْسُ أَنَّهُـمُ

قَـدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ البُـؤْسِ وَالنِّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْـرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ

كَشَـمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَـفٍ

عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

وَسَـاءَ سَـاوَةَ أَنْ غَاضَـتْ بُحَيْرَتُهَا

وَرُدَّ وَارِدُهَـا بِالغَيْـظِ حِيـنَ ظَمِي

القسم الثاني

المولد

أولاً: المقصود من عبارة المولد:

عندما يطلق لفظ المولد، فإنّه ينصرف إلى لونين من الواقع:

١ - اللون الأول: هو ما تعوده النّاس من إحياء ذكرى مولد سيدنا رسول الله ﷺ بالتجمع على مجالس العلم والذكر، وضَبْ الندوة والتعاون، وبذل الصدقات، والتعارف والثقافة، وبحث شئون الإسلام والمسلمين، وغير ذلك من مبادئ الخير المتعددة.

هذا اللون من التجمع من أجل هذه الغايات المَرْضِيَّة، مشروع، سواء كان بمناسبة الذكرى النبوية الكريمة، أو بمناسبة ذكرى بعض الرجال، من ذوي الآثار الطيبة، والتاريخ العظيم، أو بمناسبة ذكرى أيام الله.

وقد دللنا على مشروعية هذه التجمعات إذا خلت من المناكر

والمحرمات بما يكفي ويشفي فيما حققناه من كتبنا المختلفة، وخصوصاً كتابنا «**أصول الوصول**»، وليس هنا مكان تكراره.

٢ - **اللون الثاني من هذا الواقع**: ما ألفه السلف والخلف من رسائل في ذكرى رسول الله ﷺ على خط معين، يجمع بين تمجيده ﷺ وذكر قصته مختصرة مسجوعة الترتيل والإنشاد والإفادة والبركة.

وهذا اللون هو المتصل ببحثنا عن الصَّلاة وملحقاتها، وما يرتبط بها، فهو نوع أكيد من الصلوات على سيد الكائنات ﷺ.

فليس حديث هذه الموالد حديث تاريخ وسيرة، بقدر ما هو تذكير، وتبشير، وتحريك للعاطفة، وإشباع للوجدان، وتحبيب في النبي العظيم ﷺ والصَّلاة عليه، وإشاعة لبعض آدابه وخصائصه، وتثبيت مواصلة القدوة به، والتعلق القلبي بروحانيته، على أسلوب الحداء والنشيد المحبب.

ثانياً: تاريخ تأليف الموالد:

ربما كان مِنْ أول من أَلَّف في هذا المعنى الشيخ (ابن الجوزي) من رجال القرن السادس في كتابه « العروس ».

ثُمَّ جاء من بعده الشيخ (ابن دحية) من رجال القرن السابع، فألَّف كتابه « التنوير » للسلطان مظفر الدين (طغرل كوكبري) حاكم (إربل)[1]، الذي كان أول مَنْ بذل بكُلٍّ سخاء على إحياء ذكرى المولد النبوي من أهل السنة[2]، حتى لقد منح الشيخ

---

(١) إربل: إحدى مقاطعات العراق الآن، وكان ملكها طغرل محارباً مع صلاح الدين.

(٢) يقول الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله تعالى في مقدمة (قصة المولد):

« وأول مَنْ علمته صرف همته إلى الاحتفال باليوم الموافق يوم مولد الرسول ﷺ فيما حكاه ابن مرزوق هو القاضي أحمد محمد العزفي السبتي المالكي في أواسط القرن السادس وأوائل السابع. واستحسنه جمهور مشيخة المغرب ووصفوه بالمسلك الحسن ».

ثُمَّ قال رحمه الله:

« وشاع ذلك في بلاد المغرب والأندلس، ولما رحل العلامة أبو الخطاب عمر المعروف بابن دحية البلنسي المالكي رحلته =

ابن دحية على تأليفه هذا (ألف دينار)، وكان يجمع الناس للاستماع إلى هذا التأليف في أحفال بالغة الروعة والجلال، فكان أول من أحيا المولد من (أهل السنة). إذ كان الشيعة الفاطميون هم الذين بدءوا هذا التقليد. فلما عندوا بسخاء المظفر بالغوا هم في ذلك حتّى أسرفوا وأتلفوا.

وقد تبع ابن دحية نفر غير قليل . منهم (ابن جابر الأندلسي) من رجال القرن الثامن . والشيخ (الغرناطي) من رجال القرن التاسع.

المشهورة إلى المشرق أول القرن السابع. واتصل بالملك الجليل مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن زين الدين كوجك علي صاحب اربل حتى الشيخ لملك المسن بهذا المسن، فرغبت همته في الاتساع بميسم أفاض الزمن. فلذلك أقام في سنة ست وستمائة حفلا عظيماً، وأنشأ له ابن دحية كتاباً سماه "التنوير بمولد السراج المنير" ليقرأ في ذلك اليوم. وجعل يعيد قراءته كل عام، تارة في اليوم الثامن، وتارة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول. فهو أول الملوك نظم هذا الاحتفال في سلك رسوم دولته.

ثالثاً: أشهر تآليف الموالد:

ولا شكّ أنه قد شهد هؤلاء تأليف مَنْ دونوا تاريخ الرسالة على الأسلوب العلمي الجاد كابن إسحاق، وابن سعد، وابن هشام، وأصحاب (كتب المغازي)، وأحوال الرجال.

كما أنه لا شك أنه قد لحق بهؤلاء وأولئك نفر آخرون، من أشهرهم (الشيخ المناوي)، ومُؤَلَّفه في المولد مشهورٌ منتشر، محفوظٌ في أكثر البلاد الإسلامية، بل هو أشهر ما يذكر في هذا الباب.

ويليه في الشهرة والانتشار مُؤَلَّف (الشيخ البرزنجي) في المولد، حتى كأنه لا يوجد غير مؤلفيهما في هذا المجال على المستوى الجماهيري العام في ديار الإسلام.

ويلي مولد المُناوي (بضم الميم) والبرزنجي: بعض الموالد الصوفية الخاصة، وأشهرها: موالد الشاذلية بمصر، ومولد الشيخ (الحداد) عند صوفية اليمن وما حوله.

وقد ألَّف المرحوم الشيخ (محمود خطاب السبكي)[1] مؤسس الجمعية الشرعية، مَوْلِداً[2] جرى فيه مجرى مَنْ سبقه من المؤلفين، مع شيء من التحفظ والاحتياط، ثُمَّ جاء خلفاؤه وأعادوا طباعته، بعد أن حذفوا منه الكثير مما جاء في الأصل، تبعاً لما اختاروه لأنفسهم بعد وفاة مؤسس الجماعة من رأي ومذهب خاص.

---

(١) توفي الشيخ محمود خطاب السبكي رحمه الله تعالى في (١٩٣٣م) عن عمر يناهز ٧٥ عاماً.

(٢) هو: المولد المسمى: المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية، طبع في حياة الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي رحمه الله (١٩٣١م)، ثم أعاد طبعه ابنه وخليفته الشيخ أمين خطاب السبكي سنة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، ثم أعاد طباعته الشيخ يوسف أمين خطاب (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، وقد تم في هاتين الطبعتين اللاحقتين حذف الكثير مما ورد في الطبعة الأولى (طبعة المؤلف الشيخ محمود خطاب السبكي).

ثُمَّ قام بتحقيق الكتاب وإعدة طباعته الأخ العلامة المحقق أبو سهل نجاح عوض صيام (من علماء العشيرة المحمدية)، ونشر في دار المقطم بالقاهرة في طبعتين متتاليتين (٢٠٠٧، ٢٠٠٨م)، وقد أعاد إلى الكتاب ما حذف منه مما ورد في طبعة المؤلف الأصلية، وجعله بين أقواس.

رابعاً: مناهج مؤلفي الموالد وحكمها:

ولمَّا كان المراد من هذه الموالد في الجماهير، هو إثارة الشوق إلى رسول الله ﷺ وتجديد المودة معه، والتبرك باستماع قصته ﷺ، والتعبد بالمشاركة الجماعية في كثرة السلام عليه ﷺ، والتعرف إلى فضائله وخصائصه، والتيمن بتمجيده وتقليد شمائله، لذلك لم يلتزم مؤلفو الموالد صحيح الأخبار، بل تجاوزوها إلى الضعيف، اعتماداً على جواز العمل به في الفضائل والمناقب والتواريخ، وربما تجاوزوا الضعيف إلى غيره بحسن النية لا محالة، وليس مؤلفو الموالد من علماء الحديث. وقد اكتفوا بما راجعوه في بعض كتب الحديث والسير بصفة عامة.

ثُمَّ تجاوز بعضهم هذه المرحلة إلى الخيال الشعري، الذي يتكلم بـ (لسان الحال)، فنقلوا ما نقلوا عن لسان الأكوان بأنواعها. من الجن والإنس والوحش والطير والملك، من كل ما يتصور إمكان حدوثه في مثل هذا الحدث السعيد الفريد في دورة الحياة (حدث المولد الخالد).

وما دام الخيال جئزاً في الشعر الموزون المقفّى. فهو بالتالي جائزٌ في هذا النثر المسجوع على الطريقة الفنية الموروثة في تأليف هذه الموالد.

غير أنه مما يجب شرعاً: أن يشار إلى ذلك بالقول الرقيق والبيان الرفيق. ما دام هذا الخيال، لا يخالف معلوماً من الدِّين بالضرورة، ولا يفسد معالم الإيمان بالله تعالى.

بل كثيراً ما كان الخيال - والقصص منه بخاصة - من أسباب تأكيد التدين واحياء الوجدان. ولهذا لا نرى موجباً للحملة العنيفة التي يحملها بعضهم على الموالد، حين يسحب عليها قانون الشرائع والتواريخ وتحقيق النصوص، وليس الأمر كذلك (راجع ما سبق أن كتبناه في ملحقات القسم الأول من هذا البحث).

أمّا من الجانب اللغوي والأدبي، فأكثر بناء هذه الموالد من النثر والشعر، جاهيري، ساذج بسيط، يشيع فيه بعض التكلف والتقليد، وإنما يشفع في ذلك كله شيوع الصدق والإخلاص،

وحقيقة الحب الذي لا مراء عليه في كل كلمة من الشعر أو النثر في هذه الموالد.

خامساً: قصة آخر مولد عُرف:

وكان هذا جميعاً من الأسباب التي حفزت المرحوم (محمد الغرابلي باشا) وزير الأوقاف بوزارة الوفد في الثلاثينيات. إلى إعلان منح جائزة مجزية لمن يؤلف مولداً خالياً من المآخذ التاريخية واللغوية والشرعية.

وقد تقدَّم كثيرون بإنتاجهم. وفاز بالجائزة الأولى المرحوم (الشيخ عبد الله بك عفيفي) شاعر الملك وخطيبه وقتئذ.

وطبع مولد الشيخ عبدالله أفخر طباعة، ووُزِّع في كُلِّ مكان. ولاحقته أجهزة الدعاية والإعلام بكُلِّ طاقاتها. وكُلِّف الشيخ طه الفشني، أحد مشاهير الموشحين. بترتيله وإنشاده خاصة [1].

---

(١) وأذيع المولد النبوي للشيخ عبد الله عفيفي في برنامج «المسيرة العطرة»، إخراج وإلقاء: عبد الوهاب يوسف. وتلحين القصائد: سيد شطا، وإنشاد: الشيخ الفشني وبطانته، وقد أنتجته فيما بعد شركة صوت القاهرة في صورة «شريط كاسيت».

ومع هذا كله لم يكتب له نجاح ولا انتشار، وأصبح من محفوظات دار الكتب، مع عشرات من مثله سابقة عليه.

وقد كان كبار القراء يفخرون بالتغني بعبارات الموالد القديمة، ويحيون أكرم الليالي والمناسبات بترتيلها المنظَّم، وإنشاد قصائدها الملحنة على أصول الموسيقى العربية، وخصوصاً في ليالي الأعراس، والمواسم، والأعياد، والمناسبات السعيدة، كالعودة من الحج، وسبوع المواليد، والوفاء بالنذور.

- الموشحون والمذهبجية:

ثُمَّ جاء من بعد هؤلاء طائفة (أحيت وجودها الإذاعة المصرية الآن، وهم الموشحون والمذهبجية)، أو المبتهلون والبطانة (على التسمية الإذاعية الجديدة)، ولنا على أسلوب إنشادهم مآخذ شتى، فإنهم بأسلوب التواشيح الحالية لا يحققون الغرض من إنشاد قصائد المولد وترتيل قصته، أو دعاء الله والابتهال إليه، والتضرع في حضرته، وخصوصاً قبيل صلوات الفجر، وإنما أصبحت الغاية عندهم إعلان

المقدرة على الانتقال في السُّلم الموسيقي، ومقامات التلحين، وتقليب الكلمة الواحدة ألف مرة، تقليباً ثقيلاً ممجوجاً هزيلاً، بلا هدف ولا أثر، إلا حسن التغني، وإيقاع النغم، وبهذا فات الهدف الشريف المقصود من التوشيح والابتهال، وتلاوة القصة المباركة، ولا قوة إلا بالله.

وقديماً كانوا يقرءون المولد ترتيلاً وإنشاداً من الغلاف إلى الغلاف، في الليلة الواحدة، فيُذَكِّرون الجمهور بكثير من معالم سيرة رسولهم العظيم ﷺ، ثُمَّ بالغوا في اختصار ذلك حتى اكتفوا بقصة زواج آمنة وعبد الله إلى ساعة المولد الخالد، ثُمَّ تغالوا فتركوا ذلك جميعاً إلى إنشاد قصائد تافهة المعنى والمبنى، تدور كلها حول جمال وجهه الشريف، وجاذبيته، وحسن قوامه ولفتاته، وفتك عيونه، وما إلى ذلك من التشبيهات الغزلية، والتشبيب النسوي الساقط، وبذلك قتلوا المعنى النبيل الذي كان منظوراً إليه في دائرة تأليف الموالد النبوية وإنشادها.

- الشيخان: النقشبندي وطوبار وآخرون:

وتقتضينا أمانة العلم والتاريخ أن نستثني من الموشحين أو المبتهلين رجلين عاصرناهما جديرين بالتقدير. هما الشيخ المرحوم سيد النقشبندي، والشيخ نصر الدين طوبار أطال الله بقاءه[1].

فهذان الرجلان حافظا على كرامة التوشيح والإنشاد الديني والابتهال بحق. وقدّما فيه ما أرضى ظمأ في الخاصة والعامة، والفن الأصيل والشرع الشريف.

نعم لكل منهما أسلوبه المستقل. ولكنهما انفردا بالصورة المشرقة الجديرة بالتسجيل .. ومن قبلهما كان الشيخ علي محمود، والشيخ أحمد ندا، والشيخ البنا، وسكر.

---

(١) كان الشيخ سيد النقشبندي من رجال العشيرة المحمدية، وكذلك الشيخ الطوخي.

توفي الشيخ سيد النقشبندي في (١٩٧٦م)، تاركاً ثروة من الأناشيد والابتهالات، إلى جانب التلاوات القرآنية والأذان، بصوت سماوي.

وتوفي الشيخ نصر الدين طوبار في سنة (١٩٨٦م)، تاركاً أيضاً ثروة من التسجيلات الإذاعية المتنوعة.

وبينهم موشحون قليلون صالحون كالشيخ الطوخي مد الله في عمره[1]، وهو في طريقة إلقائه وصوته أصبح علامة على نفحات رمضان. ومن قبله كان الشيخ بيومي، واليوم في الصعيد الأعلى (الشيخ العطواني)[2] من هذه البقية المباركة.

وقد استمعت من سنين في دمياط إلى منشد كفيف يسمى (الشيخ عامر)[3]، وهو رجل متعدد المواهب، يلقي إليه أحد

---

(١) توفي الشيخ محمد الطوخي يوم الجمعة (٩ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ) الموافق (٦/٣/٢٠٠٩م)، عن (٨٧) عاماً رحمه الله تعالى. وقد شاهدناه رحمه الله في احتفالات العشيرة المحمدية بالمولد النبوي، وقد كان حريصاً على المشاركة فيه سنوياً.

(٢) الشيخ عبد العظيم أحمد سليم العطواني؛ نسبة إلى قرية العطواني؛ وهي إحدى قرى مركز (إدفو) بمحافظة أسوان جنوب مصر. وقد اشتهر الشيخ العطواني حفظه الله بإنشاده لبردة الإمام البوصيري.

(٣) وقد سجل شيخنا رحمه الله تعالى في مجلة المسلم (السنة ١٩، العدد ١١). (غرة جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ، ١٤ أغسطس ١٩٦٩م)، خبر رحلته إلى كفر سعد بدمياط، والتي استمع فيها إلى ذلك الشيخ. قال: الشيخ إسماعيل عامر القارئ المنشد المبدع والشاعر المجيد، هذا الرجل فريد في بابه حقاً، فقد كان يلقى إليه بيت الشعر لم يسبق له به علم، فيلحنه وينشده، مخمساً أو مشطراً أو متابعاً، على =

الحاضرين بأي بيت من الشعر في أي بحر وقافية، فإذا هو ينطلق مرتجلاً من نفس البحر والقافية بالكثير من الأبيات يشدها، ويرددها في مقدرة لغوية وإنشادية تستلفت الأنظار فهو شاعر مرتجل ومنشد قدير.

- المدّاحون والسيرة:

وقد كانت السيرة النبوية أو المولد النبوي يترجم بين الجماهير إلى الشعر العامي(١)، ويحفظه ويتغنى به جماعات، تسمى جماعات المداحين، ينشدونه في التجمعات الدينية الشعبية،

- البديهة، في سرعة عجيبة، وتركيب قوي، وعلى معانٍ جميلة مطربة، تستوجب الإعجاب والتقدير. وعجيب جداً ألا يُقدَّم هذا الرجل إلى الجمهور من طريق وسائل الإعلام، التي قدمت الكثيرين ممن لا يجارونه في صوت ولا علم ولا موهبة، وإنا لنرجو أن يستمع إليه ولو بعض المهتمين بـ(الفلوكلور) وباكتشاف المواهب، فسيجدون فيه شيئاً جديداً».

(١) ولعل من آخر ذلك ما كتبه شيخ الزجالين: عبد الفتاح شلبي، الذي كتب (السيرة النبوية) بالموال الشعبي، وطبعتها دار الشعب في خمسة أجزاء، وقدّم لها شيخنا الإمام الرائد رحمه الله بمقدمة مهمّة.

وفي بعض أحفال ومواكب بعض المتصوفة. بل وفي المقاهي والمجالس كانوا يحيون به الليالي المختلفة على دقات البازات والدفوف، وأصوات الأراغن والناي، وكان ذلك منتشراً في الريف والصعيد المصري.

وكان هؤلاء المداحون، ولازالت لهم بقايا متماسكة في الأرياف يتحرون غرائب المرويات من المعجزات النبوية، وقصص يوسف ومريم وأيوب وغيرهم. فينظمونها، أو تنظم لهم، فيسمعها العامة رجالاً ونساء، فتنهمر عيونهم بالدموع في بعض المواقف، كما تجد الفرحة والنشوة على وجوههم في مواقف أخرى. حسبما تتحرك الأنشودة، وعلى مدى اقتدار المغني.

وكُنَّا نرى النَّاس يستفيدون من بعض ما يسمعونه خلال الإنشاد من بعض مكارم الأخلاق المروية، بقدر ما يُحَصِّلُون من ثقافة تاريخية فيها المقبول والمرفوض. وقد تطورت هذه الصورة في المدن والعواصم الآن، وتخصصت لها شخصيات وسجلت لها

أشرطة (الكاسيت) مما يستوجب الاهتمام الكبير، للانتفاع بهذه الطاقة. بعد تصحيح أوضاعها ومروياتها المختلفة، فإنه يوجد في كثير منها ما لا يقبله عقل ولا شرع ولا أدب، وقديماً رأى بعض الأشياخ مدى تأثر أهل الريف بهذه الصورة فنظم باللغة العامية جانباً من التوحيد والفقه، ودفعه إلى بعضهم ليتغنى به أثناء المدائح، وكانت تجربة لم يبلغ أثرها، ولم يتحقق الغرض منها، بل ماتت في مهدها.

* * *

القسم الثالث

الأمداح النبوية

أَرَى كُلَّ مَدْحٍ فِي النَّبِيِّ مُقَصِّرا

وإنْ بالَغَ المُثْنِي عليهِ وأكْثَرا

إذ اللهُ أَثْنَى بالذي هو أَهْلُه

عليه فما مِقْدارُ ما يَمْدَحُ الوَرَى

* * *

الأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ مَقَالَةِ قائِلٍ

إنْ رَقَّقَ البُلَغاءُ أو إنْ فَخَّمُوا

ماذا يقولُ المادحُونَ ومَدْحُهُ

حقّاً بِه نَطَقَ الكِتابُ المُحْكَمُ

القسم الثالث

الأمداح النبوية

أولاً: المدح المنثور:

الآن وقد فرغنا من إجمال الكلام على الصَّلوات والتسليمات، ثُمَّ على (المؤالد) لارتباطها التام بالصلوات والتسليمات كما أسلفنا. نرجو أن نتمم البحث بإجمال الكلام على المدائح النبوية من حيث إنها ثناء ودعاء وتعديد مناقب ومواهب، ودفاع عن العقيدة، وردع للخصوم. فهي قطعاً من الملحق بالصلوات، على الحقيقة. وعلى المجاز والاعتبار معاً.

ولنا أن نعتبر صيغ الصَّلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ مما قدَّمْنا من نماذج منثورة أو منظومة، من صميم المدائح النبوية الموصلة، التي يشترك فيها العقل مع الوجدان، فتجمع بين الإيمان والبيان.

- من كلمات الإمام علي:

وحسبنا أن نُقَدِّم نموذجاً لهذا المدح المنثور، من إمام البلاغة الخالد سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد سدد وجدد، وأفاد وأجاد وأحاط، بشتى المعاني والصور البيانية النادرة، ومن ذلك قوله في أحد ابتهالاته إلى الله ذاكراً رسول الله ﷺ:

«أورى قَبَساً لقابس[1]، وأنار عَلَماً لحابس[2]. فهو أمينك المأمون، وشهيدك يوم الدِّين، وبعيثك نعمة، ورسولك بالحق رحمة .. اللهم اقسم له من عدلك، وأجزه مضاعفات الخير من فضلك .. اللهم أَعلِ على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك نزله، وشرِّف لديك منزله، وآته الوسيلة، وأعطه السناء والفضيلة.

---

(١) أورى: أوقد. والقبس بالتحريك: الشعلة من النار تقتبس من معظم النار. والقابس: آخذ النار من النار. والمراد أن النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه. اهـ من شرح الشيخ محمد عبده.

(٢) الحابس: من حبس ناقته وعقلها حيرة منه لا يدري كيف يهتدي فيقف عن السير. وأنار له علماً أي وضع له ناراً في رأس جبل ليستنقذه من حيرته. اهـ من شرح الشيخ محمد عبده.

واحشرنا في زمرته، غير خزايا ولا نادمين، ولا ناكثين ولا ضالين ولا مضلين »[1].

وقوله في وصفه ﷺ:

« قد حقَّر الدُّنيا وصغرها، وأهونها وهونها. وعلم أن الله زواها عنه اختياراً. وبسطها لغيره احتقاراً. فأعرض عنها بقلبه. وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً. أو يرجو فيها مقاماً »[2].

وقوله في التعريف به ﷺ:

« أرسله بالدِّين المشهور. والعلم المأثور. والكتاب المسطور. والنور الساطع. والضياء اللامع. والأمر الصادع. إزاحة للشبهات. واحتجاجاً بالبينات. وتحذيراً بالآيات. وتخويفاً بالمُثُلات. والنَّاس في فتن انجزم فيها حبل الدِّين، وتزعزعت سواري اليقين ... »[3] إلخ .

---

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده (١/ ٢٠٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢١٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٨).

وهـذه كلها أمـداحٌ عظيمةٌ في صلواتٍ كريمـةٍ، أو صلواتٌ كريمـةٌ في أمداحٍ عظيمة. ولنا أن نعتبر ما أتى ويأتي من ذكره ﷺ في خطـب الكتب الدينية، وعلى لسـان خطباء المنابر الإسـلامية، نعتبرها من الصلوات النثرية التي لن تنتهي إلا بانتهاء الزمان.

ثانياً: المدح الشـعري عند السـلف:

فـإذا انتقلنا إلى المدائح الشـعرية، وهي كـما ذكرنا، موصولة بالصَّلاة والسَّـلام عليه ﷺ ، أو هي امتداد لها، كان أول ما يخطر بالبـال قصائـد شـاعر النبي ﷺ حسَّـان بـن ثابت، غـير أنه قبل الحديث عن حسَّـان، لا ينبغي أن ننسى **قصيدة الأعشى**، ولو أنه لم ينشـدها بين يدي النبـي ﷺ لما أغراه به خصوم الرسـالة. إلا أنها سـارت في النَّاس وسـجلها التاريخ، حتى كأنه أنشـدها بين يديـه ﷺ . وهي مـن الطراز الجاهلي القوي البنـاء، والذي كان يُسْتجدى به العطاء. ومطلعها:

أَلَـمْ تَغْتَمِـضْ عَيْنَـاكَ لَيْلَـةَ أَرْمَـدَا

وعـادَكَ مـا عادَ السَّـلِيمَ المُسَـهَّدا

ويستمر في القصيدة حتى يتحدث عن ناقته وعن غايته قائلاً:

فَآلَيْـتُ لا أَرْثِـي لَهـا مِـنْ كَلالَـةٍ

ولا مِـنْ حَفـىً حتَّى تُلاقِـي مُحَمَّدا

نَبِـيٌّ يَـرَى مـا لا تَـرَاهُ، وذِكْـرُهُ

أَغـارَ لَعَمْـرِي في البـلادِ وأَنْجَـدا

لَـهُ صَدَقَـاتٌ مَـا تُغِـبّ وَنَائِـلٌ

وَلَيْـسَ عَطَـاءُ الْيَـوْمِ مَانِعَـهُ غَـدَا

مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ

تُرَاحِي ، وَتَلْقَـيْ مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى

كما يجب ألا ننسى بعد ذلك كعب بن زهير في قصيدته المشهورة (بانت سعاد) التي قالها بعد أن أمّنه الرسول ﷺ

يستغفر بها عن ماضيه، ويرجو آخرته ويمدح الرسول ﷺ.

وهي القصيدة التي يقال إنّ رسول الله ﷺ كافأه عليها ببرده الشريف، وقد اشتهرت شهرة بالغة. وقد استهلها بقوله:

بَانَتْ سُعَادُ، فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ

مُتَيَّمٌ إثْرَهَا، لَمْ يُفْدَ، مَكْبُولُ

واسترسل على أسلوب عصره حتى قال:

نُبِّئْتُ أَنّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي

وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

وقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِراً

والعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبولُ

لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ

أُذْنِبْ وإن كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ

إنّ الرّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ

مُهَنّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

والقصيدة في نحو ستين بيتاً من الشعر الجيد الرصين، وقد اعتبرها السلف من أجلّ ما مُدح به الرسول ﷺ، فشرحوها صوفياً وأدبياً، وشطروها وخمسوها، وكان ممن عارضها الشاعر الكبير (ابن نباتة) المصري، و(شرف الدين) البوصيري، و(ابن سيد الناس) اليعمري، و(ابن جابر) الأندلسي، وغيرهم، كما ترجمت إلى الفرنسية وغيرها.

- عَوْدٌ إلى حسان بن ثابت:

ونعود إلى (حسان) الذي اختص بلقب (شاعر النبي ﷺ)، والذي فاز بدعائه ﷺ له، فنجد له الكثير الطيب من الأمداح، ونجد من عيون قصائده (العينية) التي ردّ بها على (الزبرقان بن بدر) شاعر وفد تميم إلى رسول الله ﷺ. وفيها يقول حسان:

إنّ الذوائبَ مِنْ فِهْرٍ وإخوَتِهِمْ

قد بَيَّنُوا سَنَناً للناسِ تُتَّبَعُ

يـرْضَى بها كلُّ مَـنْ كانت سريرتُه

تَقْوَى الإلهِ، وبالأمرِ الذي شَرَعُوا

إنْ كانَ في النَّاسِ سَـبَّاقون بعدَهُمُو

فـكُلُّ سَـبْقٍ لأدْنَـى سَـبْقِهِمْ تَبَـعُ

أَكْـرِمْ بِقَـوْمٍ رَسُـولُ اللهِ شِـيعَتُهُمْ

إذَا تَفَاوَتَتْ الْأَهْـوَاءُ وَالشِّيَعُ

ثُـمَّ تأتي بعـد (عينية) حسـان (همزيتـه) القيمـة، وفيها بعد مصاولة خصوم الدعوة يقول:

وَقَـالَ اللهُ: قَـدْ أَرْسَـلْـتُ عَبْـدًا

يَقُـولُ الْحَـقَّ لَيْـسَ بِـهِ خَفَـاءُ

وَقَــالَ اللهُ: قَـدْ سَــيَّرتُ جُـنْـدًا

هُـمُ الْأَنْصَــارُ عَابِتُـها اللِّقَـاءُ

وَجِبْرِيـلٌ رَسُــولُ اللهِ فِيـنَـا

وَرُوحُ الْقُـدُسِ لَيْـسَ لَـهُ كِفَـاءُ

أَلاَ أَبْلِـغْ أَبـا سُـفْيَانَ عَنِّـي

مُغَلْغَلَةً، فَقَـدْ بَـرِحَ الخَفَـــاءُ

هَجَـوْتَ مُحَمَّـداً فَأَجَبْـتُ عَنْـهُ

وَعِـنْـدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَـــزَاءُ

أَتَهْجُـــوهُ وَلَسْـتَ لَـهُ بِكُـفْءٍ

فَشَـرُّكُـمَا لِخَيْرِكُـمَا الفِـــدَاءُ

فَمَـنْ يَهْجُـو رَسُـــولَ اللهِ مِنْكُـمْ

ويمدحـــهُ، وينصرهُ ســـواءُ ؟

فَـإِنَّ أَبِي وَوَالِـــدَهُ وَعِــرْضِي

لِعِرْضِ مُحَمَّـــدٍ مِنْكُمْ وِقَـاءُ

وفي (داليته الصغرى) التي ردَّ فيها على الهاتف الذي سمعه، يقول حسان:

نَبِيٌّ يَـرَى مَا لاَ يَرَى النَّـاسُ حَوْلَهُ

وَيَتْلُـو كِتَـابَ اللهِ فِي كُلِّ مَسْـجِدِ

وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ

فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ

وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا

عمى، وهداةٌ يهتدون بمهتدي ؟

ونختم ما اخترناه من مدائح حسان بأبيات من (داليته) التي قالها بعد وفاة الرسول ﷺ. ومنها:

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ

مُنِيرٌ، وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ

وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ

بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ

وَوَاضِحُ آثَارٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ

وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ

عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ

وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ

فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ
بِـلَادٌ ثَـوَى فِيهَـا الرَّشِـيدُ المُسَـدَّدُ

ثالثاً: بعض الخلف من شعراء المدائح النبوية:

وليس أشهر في هذا المجال من الشيخ (شرف الدين البوصيري)[1] من شعراء القرن السابع في قصيدة « البردة » التي ملأ ذكرها الخافقين، وشغلت ولا زالت تشغل رجال الدين ورجال التصوف، ورجال الأدب في الإسلام. وسوف تظل كذلك بما فيها من آثار الربانية والصدق، والإخلاص والصفاء، الذي هو روحها، وهو سر حيويتها وخلودها وانتشارها، وما كُتب لها من القبول الموصول، أمس واليوم وغداً. إن شاء الله.

ثُمَّ لما فيها من قوة التعبير وروعة البناء الشعري، وقدسية الحب النبوي، وجلال التشبيه الفني، وأبهة الرُّوحانية والجاذبية،

---

(١) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله (ت: ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م).

وموقع الحكمة والمثل والتاريخ، مع إشراق اللفظ ووضوح المعنى.

ولم يكتب الله لقصيدة في المدح النبوي، من التقليد والمعارضات الشعرية والشروح الدينية والأدبية، ما كتب للبردة. وما عارضها شاعرٌ إلا اعترف بالأستاذية وفضل الشيخ البوصيري[1].

---

(١) ورحم الله شوقي إذ قال في «نهج البردة»:

المادِحونَ وأَربابُ الهَوى تَبَعٌ
لِصاحِبِ البُردَةِ الفَيحاءِ ذي القَدَمِ

مَديحُهُ فيكَ حُبٌّ خالِصٌ وَهَوىً
وصادِقُ الحُبِّ يُملي صادِقَ الكَلِمِ

اللهُ يَشهَدُ أَنّي لا أُعارِضُهُ
مَن ذا يُعارِضُ صَوبَ العارِضِ العَرِمِ

وَإِنَّما أَنا بَعضُ الغابِطينَ وَمَن
يَغبِط وَلِيَّكَ لا يُذمَم وَلا يُلَمِ

رابعاً: معارضات البردة وتنظيرها:

ومن أشهر من عارضها المرحوم محمود سامي باشا البارودي (ت: ١٣٢٢ هـ)، بقصيدة طويلة [١]، مطلعها:

يا رائِدَ البَرقِ يَمِّم دارَةَ العَلَمِ
وَاحْدُ الغَمامَ إلى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ

وعارضها المرحوم أحمد شوقي أمير الشعراء (ت: ١٣٥١ هـ) بقصيدة [٢] مطلعها:

رِيمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ
أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

وعارضها ابن حِجّة الحَمَوي (ت: ٨٣٧ هـ) بقصيدة مطلعها:

لِي في ابتداءِ مَدْحِكُمُ يا عُرْبَ ذِي سَلَمِ
بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ في العَلَمِ

(١) (٤٤٧ بيتاً) هي: (كشف الغمة في مدح سيد الأمة).
(٢) (١٩٠ بيتاً) سماها: (نهج البردة).

وكان ابن جابر الأندلسي (ت: ٧٨٠هـ) قد عارض البردة قبل هؤلاء بقصيدة مطلعها:

بِطَيْبَةَ انزِلْ، ويَمِّمْ سَيِّدَ الأُمَمِ

وَانثُرْ لَهُ المَدحَ، وانشُرْ أطيَبَ الكَلِمِ

وسوف نظل هذه المعارضات تتلاحق وتترى لا تنتهي، كما هو مشاهدٌ للجميع.

وقد شطَّر البردة كثير من أئمة الأدب والدين، منهم الشيخ أبو الهدى الصيادي الرفاعي (ت: ١٣٢٨هـ)، والشيخ أحمد ابن شرقاوي الخلوتي (ت: ١٣١٦هـ)، كما خمسها وسبّعها عددٌ كبير من العلماء والأدباء والصوفية، من مختلف أقطار الإسلام، لا يكاد يحصر لهم عدد.

خامساً: شرح البردة ودراستها:

وقد شرحها طائفةٌ من كبار أئمة الدين والأدب، كالشهاب ابن العماد، وملّا علي القاري، والشيخ خالد الأزهري، والشيخ

جلال الدين المحلي، والشيخ زكريا الأنصاري، والحافظ القسطلاني (شارح البخاري)، والشيخ عمر المرعي السوداني، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي، وشيخ الأزهر الباجوري، والشيخ محمد المرزوقي الشاذلي، وعشرات آخرين.

وقد كان علماء الأزهر في القرن الماضي يجمعون تلاميذهم أيام الخميس والجمعة أسبوعياً لدراسة شرح الباجوري على البردة، وكان شرح البردة هو درس الأدب العربي والتاريخ الإسلامي بالأزهر، يستطردون مع كلّ بيت منها بما يوحي به ويدلّ عليه ويذكّر به من الأدب واللغة والتاريخ وغيره.

سادساً: زكي مبارك والبردة:

وهنا ننقل شيئاً من رأي (زكي مبارك) في البردة، وهو مَنْ هو عنفاً في النقد الأدبي، وتطرفاً فيما يتعرض لبحثه وتحليله، فهو يقول: « كذلك استطاع البوصيري بتصوفه أن يؤثّر في الأدب والأخلاق تأثيراً لا يدرك كنهه إلا مَنْ رأى كيف تدور البردة

على ألسنة العوام والخواص. وكيف تهذّب ما انطبعوا عليه من عنجهية الخصال، وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخّاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على تلاوتها وحفظها من وسائل التقرب إلى الله والرسول ﷺ».

ويقول:

«كانت البردة، ولا تزال من الأوراد التي تقرأ في الصباح، وتقرأ في المساء، وكنتُ أرى لها مجلساً يعقد في ضريح الحسين بعد صلاة الفجر، من كُلِّ يوم جمعة، وكان لذلك المجلس رهبةٌ تأخذ بمجامع القلوب. والذي يزورُ ساحة المولد النبوي بالقاهرة[1] يرى المئات يرتلونها في هيبة وخشوع».

كما تكلم بإسهاب على تأثير البردة في اللغة العربية، وفي لغة الجماهير، وفي أخلاقهم ومعلوماتهم بما لا محل لنقله هنا.

---

(١) كان موضع هذه الساحة هو مدينة البعوث الإسلامية الآن. ثم لم يبق للاحتفال بهذه المناسبة مكان معلوم الآن.

سابعاً: والآن: مَنْ هو البوصيري؟

والبوصيري هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله ابن صنهاج، كان أحد أبويه من (دلاص)، والآخر من (أبي صير) مركز الواسطى الآن ببني سويف، لكنه اشتهر بـ(البوصيري). وقد ولد عام (٦٠٨ هـ)، وتوفي ودفن بالإسكندرية عام (٦٩٧هـ)[١].

وكان موظفاً حكومياً مسئولاً عن إقليم الشرقية، وكان من كبار رجال الطريقة الشاذلية، وكان شاعراً مقتدراً، رقيق الإحساس، قوي الملاحظة، فيه فكاهة ودعابة، وميل للنكتة المصرية، بقدر ما كان أميناً على عمله، ماهراً فيه، منضبطاً به، مبغضاً للانحراف، أو دنس اليد والضمير، شأن كل داعية إلى الله. كما عرف بالتقوى والورع وكثرة التعبد والذكر.

---

(١) قال الصفدي في الوافي بالوفيات (٣/ ٩٣): «وأظن وفاته كانت في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وست مائة أو ما حولها».

وقد لاقى الكثير من كبار الموظفين وصغارهم. وقارئ ديوانه يقع على الكثير من مكارم أخلاقه ومشاكله الخيرية. التي كان من سببها المهارة والطهارة، وقد عوضه الله عن فقده في الحياة الدنيا بخلود الذكر، وموصول الثواب، بسبب قصيدة البردة المباركة، التي لم يعرف العالم الإسلامي نظيرا لها. كما رأيت فيما أجملنا لك.

ويطلق بعضهم على هذه القصيدة لفظ (البرأة) بالألف بدلاً من الدال. لأن الله أبرأ البوصيري ببركتها من مرضه الخطير. ويرجع إلى قصتها في المطولات.

وللبوصيري قصيدة أخرى من المدائح النبوية الجيدة اشتهرت باسم الهمزية، ومطلعها:

كيف ترقى رُقِيَّك الأنبياءُ

يا سماءً ما طاوَلَتْها سماءُ

وله (دالية شاذلية) في غاية الروعة والرّوحانية مطلعها:

كَتَبَ المَشِيبُ بأبْيَضٍ في أسْوَدِ

بِغْضَاءَ ما بَيْني وبينَ الخُرَّدِ

وقد عارض قصيدة (بانت سعاد) بقصيدة وعظية مطلعها:

إلى متى أنتَ باللّذّاتِ مَشغُولُ

وأنتَ عن كلِّ ما قَدَّمْتَ مَسؤولُ

وقد ضاق أفق بعض متعصبي المذاهب المعاصرين ببعض ما لم يتيسر له فهمه على وجهه من بعض أبيات البردة، فرموا البوصيري بالكفر والشرك، وكذلك قراء البردة معه وهم عشرات الملايين في العالم الإسلامي، حتى حرّموا دخول مطبوعها إلى بلادهم، وقد أجبنا على شبهاتهم في كتابنا (أصول الوصول) وغيره فلا داعي هنا للتكرار.

ثامناً: ابن نباتة والحموي والبرعي:

هـذا، وقد كتب قصائد المدائح النبوية الجيدة طائفة من أشهر شعراء العروبة والإسلام، غير مَنْ ذكرنا مِنْ قبل في مختلف بلاد أهل القبلة قديماً وحديثاً، ومِنْ أشهرهم وأقدرهم (جمال الدين ابن نباتة المصري، وأبو بكر ابن حِجّة الحموي). والكلام عليهما يحتاج إلى كتاب خاص.

ولا يمكن أن ننسى المحب العالم المعتقد المعمر الداعية (الشيخ عبدالرحيم البرعي) من أهل القرن الثامن (ت: ٨٠٣ هـ). وهو يمني من (زبيد)، وقد عاش مائة وثلاثين سنة، وتوفي وهو في طريقه لزيارة القبر النبوي للمرة التسعين، ودفن بالدرب القديم (طريق الجمال) بين مكة والمدينة، وقد حطموا قبره الآن، وديوانه في المديح النبوي مشهور متداول. رغم بساطته الكبرى. خصوصاً في القرى والأقاليم، ولا يزال المنشدون يتغنون خاصة بقصيدته (الدالية):

يـا راحلـينَ إلى مِـنىً بقِيـادي

هيجتمـوا يـوم الرحيـل فـؤادي

سرتُـم وسـار دليلُكم يا وحشـتي

الشـوقُ تيمنـي وصـوتُ الحـادي

وفيها يقول:

ذبحـوا ضحاياهم وسـالَ دماؤها

وأنـا المتَيَّـمُ قـد ذَبَحْـتُ فـؤادي

ومِنْ شعره الجميل قوله:

والله ما حَمَلَـتْ أنثى ولا وضـعتْ

كمِثْـلِ أحمدَ مِـنْ قاصٍ ومِـنْ داني

هديـةُ الله في الدنيـا وخيرتُـه

مِـنْ خلقـه فهو هـادي كُلِّ حيرانِ

- أسماء بعض كبار مداحي الرسول ﷺ :

ثُمَّ نذكر في هذا المجال ، بالتقدير والتوقير ، ما سجله أكابر الشعراء، من أمثال: صَفي الدِّين الحِلِّي ، وعزّ الدين الموصلي، والجلال السيوطي، وعبدالغني النابلسي، والبازرعي، والنحب النبهاني، وابن المقري، والأثاري، والإبيري، و الخطيب، والحلبي، والحسين، ومريم الباعونية.

كما نذكر من أهل عصرنا: محمود جبر، وأحمد محرم، وعبدالله شمس الدين، وعباس الديب، وحسن جاد، وسعد ظلام، ومحمد التهامي، ومحمد بدر الدين، ومحمود شاور، وإبراهيم شعراوي، وكامل أمين، والشيخ الراضي، والدكتور خفاجي، والشيخ العزامي، والشيخ علي عقل . وأعداد أخرى لا تحصى، ففي مصر خير كثير بحمد الله، ونحن نكتفي بذكر أسماء بعضهم، فإنَّ الإشارة إلى مذاهبهم في المدائح، أو نقل شيء منها ، لا يطيقه هذا الموجز السريع.

وقد كنا نحب أن نسجل أسماء بعض الشاعرات المعاصرات

من مدحِ رسولِ الله ﷺ، لولا بعضُ اعتبارات في غاية الأهمية، وقد (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً).

- نماذج من البردة:

هذا، وقد افتتح البوصيري بردته أو قصيدته المباركة بقوله:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الريحُ مِنْ تِلْقَاءِ كاظِمَةٍ
وأَوْمَضَ البَرْقُ في الظَلْماءِ مِنْ إِضَمِ

فما لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَما لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

وبعد أن ذكر هواه، وحظوظ نفسه، وحزنه على تقصيره، خلص إلى المدحة النبوية الكريمة، فذكر القرآن بما هو أهله، وذكر سيدنا الرسول ﷺ وأصحابه، بما هم أهله، في نحو مائة

وستين بيتاً من الشعر الجزل، والبيان الفحل، ثُمَّ ختم يبتهل ويتوسل ويدعو، (ونختم معه قائلين) بقوله:

يا نَفْسُ لا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إنَّ الكَبَائِرَ في الغُفْرانِ كاللَّمَمِ

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
تأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ في القِسَمِ

يارَبِّ وَاجْعَلْ رَجائي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ في الدَّارَيْنِ إنَّ لَهُ
صَبْراً مَتى تَدْعُهُ الأهوالُ يَنْهَزِمِ

ونحمد الله ونشكره ونعتذر إليه، ونستغفره ونستقدره، ونتوب إليه.

* * *

القســـم الرابع

شعراء أهل البيت

يارب واجعل رجائي غير منعكـــسِ

لديك واجعل حسابي غير منخـــرم

والْطُفْ بعبدك في الدارين إنَّ لـــه

صبراً متى تدعه الأهوال ينهــــزم

وائذن لسحب صلاةٍ منك دائمـــةٍ

على النبيِّ بمنهلٍ ومنســـــجم

ما رنَّحت عذبات البان ريح صـــبا

وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

ثم الرضا عن أبي بكرٍ وعن عمــرٍ

وعن علي وعن عثمان ذي الكرم

والآلِ وَالصَّحْبِ ثمَّ التَّابعينَ فَهُــــم

أهل التقى والنقا والحلم والكـــرمِ

القسم الرابع

« شعراء أهل البيت »

ولقد كان ولا يزال شرف أهل البيت نابعاً من نسبتهم إلى جدهم المصطفى ﷺ، فهم منه وإليه، وكل مدح موجه إليهم، إنما هو في الحقيقة موجه إليه ﷺ. ومن ثمّ فنحن نعتبر شعراء أهل البيت من شعراء سيدنا المصطفى ﷺ.

وشعراء أهل البيت كثير، واستقصاء شعرهم ليس من مقاصد هذا البحث المجمل، فنكتفي بالإشارة إلى بعض مشاهيرهم.

أولاً: من سلف شعراء أهل البيت:

١ - الكُمَيت بن يزيد الأسدي[1]:

وقد ولد بالكوفة أيام مقتل أبي الشهداء الحسين، وأشهر قصائده وأقواها، قصيدته البائية الكبرى التي استهلها بقوله:

---

(١) الكُميت بضم الكاف وفتح الميم. ولد (٦٠ هـ)، وتوفي (١٢٦ هـ).

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ

ولاَ لَعِباً منّي، وذو الشَّوْقِ يَلعَبُ

ولمْ تُلهِنِي دارٌ ولا رَسمُ مَنزِلٍ

ولم يَتَطَرَّبني بَنانٌ مُخَضَّبُ

وَلكِنْ إلى أهلِ الفَضائِلِ والنُّهَى

وَخَيرِ بَني حَوَّاءَ، والخَيرُ يُطلَبُ

إلى النَّفَرِ البِيضِ الذِينَ بِحُبِّهِم

إلى الله فِيمَا نَالَنِي أَتَقَرَّبُ

بَنِي هَاشِمٍ، رَهطِ النَّبِيِّ فإنَّنِي

بِهِم ولَهُم أَرضَى مِراراً وأَغضَبُ

وهم يقولون: « مَنْ لم يحفظ بائية الكميت فليس بهاشمي »، وقد طبعت هاشمياته في (لندن) في أوائل القرن العشرين، وقد سمّته فاطمة بنت الحسين (شاعر أهل البيت)، وكان عفيفاً لم يقبل أيّ مالٍ أهدي له من أهل البيت، ويقول: « إنما أحبكم لله ».

وللكميت بائية صغرى حول معنى البائية الكبرى، ومطلعها:

أنّى وَمِن أينَ جاءكَ الطَّرَبُ[1]

مِن حَيثُ لا صَبوَةٌ ولا رِيَبٌ

ومن أشهر أشعاره أيضاً (اللامية والميمية) التي يرجع إليهما في هاشمياته.

٢- ومنهم دِعْبِل بن علي الخزاعي[2]:

وكان من أقدر الشعراء بشهادة كل معاصريه ومَنْ بعدهم من الشعراء، وأعلام الأدب. ولم يسلم من لسانه خليفة ولا وزير، ولا ذو ذكر عام، إلا أنه مع ذلك كله يذوب حباً ووفاء وفداء لأهل البيت، حتى أنه استوهب (علي بن موسى الرضا) ثوباً ليكون كفناً له، فأعطاه جبته، فاشتراها منه أهل مدينة (قم)

---

(١) ويروى: « أنّى وَمِن أينَ آبكَ الطَّرَبُ ».

(٢) دعبل بكسر الدال وسكون العين وكسر الباء. ولد سنة (١٤٨ هـ). وتوفي سنة (٢٤٦ هـ).

بنسارس كرها عنه بثلاثين ألف درهم، فلم يدفعها إليهم حتى أعطوه أحد أكمامها، ليكون في كفنه، ومن شعره في الحسين رضي الله عنه قوله:

رَأسُ ابنِ بِنتِ مُحَمَّدٍ وَوَصِيِّهِ

يا لِلرِجالِ عَلى قَناةٍ يُرفَعُ

والمُسلِمونَ بِمَنظَرٍ وَبِمَسمَعِ

لا جازِعٌ مِن ذا وَلا مُتَفَجِّعُ (١)

ولكن أفضل قصائده وأشهرها على الإطلاق (تائيته) التي كتبها في ثوب حجّ فيه، وأوصى بأن يكفن فيه. ومطلعها:

مَدارِسُ آياتٍ خَلَت مِن تِلاوَةٍ

وَمَنزِلُ وَحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ

لِآلِ رَسولِ اللهِ بِالخَيفِ مِن مِنًى

وَبِالرُكنِ وَالتَعريفِ وَالجَمَراتِ

---

(١) ويروى: ولا مُتخشّعُ .

دِيارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ

وَحَمْزَةَ وَالسَّجَّادِ ذِي الثَّفِنَاتِ

٣- ومنهم الفرزدق[1]

وكان قد حج مرة بعد أن بلغ السبعين عاماً، وكان هشام بن عبد الملك من حجاج هذا العام في عهد أبيه، وقد حاول في طوافه أن يصل إلى الحجر الأسود فلم يستطع، فنصب له منبر يرى منه الناس قريباً من الكعبة مع حاشيته، إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين، فما انتهى إلى الحجر حتى تنحى الناس له حتى استلمه، فقال رجل من حاشية هشام مستنكراً: من هذا؟ فقال هشام متجاهلاً: لا أعرفه، فسمعه الفرزدق فقال: بل أنا أعرفه، فقال: من هو يا أبا فراس؟ فقال (ميميته) المشهورة التي مطلعها:

هَذَا الَّذِي تَعرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ

وَالبَيْتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

---

(١) ولد الفرزدق سنة (٣١ هـ)، وتوفي سنة (١١٠ هـ).

هَـذا ابـنُ خَـيرِ عِبـادِ اللهِ كُلِّهِـمُ

هَـذا التَقِـيُّ النَّقِـيُّ الطاهِـرُ العَلَمُ

هَذا ابـنُ فاطِمَـةٍ إن كُنـتَ جاهِلَهُ

بِجَـدِّهِ أَنبِيـاءُ اللهِ قَـد خُتِمـوا

وَلَيـسَ قَولُـكَ (مَن هَـذا) بِضائِرِهِ

العُربُ تَعرِفُ مَن أَنكَرتَ وَالعَجَمُ

مَـنْ جَـدُّهُ دانَ فَضْـلُ الأنبِيـاءِ لَـهُ

وفَضْـلُ أُمَّتِـهِ دانَـتْ لَـهُ الأُمَـمُ

وقـد غضـب هشـام على الفـرزدق مـن أجـل قصيدته هذه وحبسـه، فأنفـذ زين العابديـن إلى الفرزدق في سـجنه اثني عشر ألـف درهم ليسـتعين في محنته بهـا، فاعتذر الفـرزدق عن قبولها، وقال: «إنيّ مدحته لله لا للعطاء»[1].

---

(١) ويذكـر ابـن خلكان وغيره، أن علي زيـن العابدين قال: «إنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده»، فقبل الفرزدق العطاء.

٤ - الشريف الرَّضي[1]:

ويأتي بعد أولئك أعلام، منهم (الشريف الرَّضي)، وهو ممن لهم في هذا المجال صيال ومقال طويل الذيول، متنوع الأغراض، متكاثر المعاني، ونسبه يتصل بآهل البيت، وهو لهذا يكثر الفخر بنسبه ويكرره، فانظر إلى قوله:

وَمـا المَـدحُ إلّا في النَّبِـيِّ وَآلِـهِ
يُـرامُ، وَبَعـضُ القَـولِ مـا يُتَجَنَّبُ
أَرى الشِّـعرَ فيهِـم باقِيـاً وَكَأَنَّمـا
تَحَلَّقُ بِالأَشْـعارِ عَنقـاءُ مُغـرِبُ

---

(١) أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الرضي، أحد شعراء العصر العباسي، وأحد علماء عصره في الدين واللغة والأدب، يقول عنه القدماء إنه كان أشعر قريش، لأن المجيد منهم ليس بمكثر والمكثر ليس بمجيد، أما هو فقد جمع بين الإكثار والإجادة، لقب الشريف الرضي بهذا اللقب لأنه كان نقيباً للأشراف، ولد سنة (٣٥٩ هـ)، وتوفي سنة (٤٠٦ هـ).

وَقالوا عَجيبٌ عُجبُ مِثلي بِنَفسِهِ

وَأَيسَرَ عَلى الأَيّامِ مِثلُ أَبي أَبْ

أَعِدُّ لِنَفخري في المَقامِ مُحَمَّدا

وَأَدعو عَلِيّاً لِلعُلى حينَ أَركَبُ

وفي هذا المعنى يقول أيضاً:

بِكُم في الشِّعرِ فَخري لا بِشِعري

وَعَنكُم طالَ باعي في الخِطابِ

وَمَن أَولى بِكُم مِنّي وَلِيّاً

وَفي أَيديكُمُ طَرَفُ اِنتِسابي

وهو يخاطب جده الحسين فيقول:

يا جَدِّ: لا زالَ لي هَمٌّ يُحَرِّضُني

عَلى الدُّموعِ، وَوَجدٌ غَيرُ مَقهورِ

إِنَّ السُّلُوَّ لَمَحظُورٌ عَلى كَبِدي

وَما السُّلُوُّ عَلى قَلبٍ بِمَحظُورِ

ويندبه مرة أخرى فيقول:

يا غَريبَ الدِّيارِ، صَبري غَريبٌ

وَقَتيلَ الأَعداءِ، نَوحي قَليلُ

بي نزوعٌ يَطغى إِلَيكَ، وَشَوقٌ

وغَرامٌ، وزَفرَةٌ، وعَويلُ

لَيتَ أَنّي ضَجيعُ قَبرِكَ، أَو أَنْ

نَ ثَراهُ بِمَدمَعي مَطلولُ

ويبكي أهل البيت فيقول:

يا غَيرَةَ اللهِ اغضَبي لِنَبِيِّهِ

وَتَزَحزَحي بالبِيضِ عَنْ أَغمادِها

مِنْ عُصبـَةٍ ضاعَتْ دِماءُ (مُحَمَّدٍ)

وَبَنيـهِ بَـيْنَ (يَزيدِهـا) وَ(زِيادِها)

ضَرَبـوا بِسَـيْفِ (مُحَمَّـدٍ) أَبنـاءَهُ

ضَربَ الغَرائِبِ، عُدْنَ بَعْدَ ذِيادِها

هـذا، فضلاً عـن قصائـده الطوال الكثيرة، التـي تمتاز كل واحدة منها بلونٍ خاص من الفن والعاطفة.

٥- مهيار الديلمي[1]:

وكان مهيـار فارسـياً بالـغ التشـيع لأهل البيـت، وكان من أشـعر النّاس، وكان يلام على فرط حبـه لأهل البيت، ومع ذلك

---

(١) أبو الحسـين مهيار بن مرزويه الديلمي. توفي سـنة (٤٢٨ هـ). كاتب وشاعر فارسي: كان مجوسياً فأسلم إلا أنه سلك سبيل الرافضة. نظم الشـعر القوي الفحل في حب آل البيت. لولا ما خلطه به من مذاهب الرافضة وسب الصحابة رضوان الله عليهم. قال له أبو القاسم ابن برهان: يا مهيار. انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار، كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسبّ الصحابة.

فإنّه لم يكن شعوبياً، بل كان يفهم الإسلام على أوسع معانيه، وله في أهل البيت نحو عشر قصائد طوال غير المقطوعات الصغيرة، ومن شعره قوله في أهل البيت:

أواليكُمُــو ما جَرَتْ مزنــةٌ

وما اصطخب الرعد أو جلجلا

وأبــرأُ ممــن يعاديكُمُــو

فإنَّ البراءةَ أَصْلُ الوَلا

ومولاكُمُــو لا يخاف العقــابَ

فكونوا لــه في غَــدٍ موئــلا

ويخاطب الحسين رضي الله عنه فيقول:

ومَــنْ ســاءَ أحمــدَ يا سِبطَــهُ

فبــاءَ بقتلــك ماذا يــدي ؟

فداؤك نفــي، ومَنْ لي بذا

كَ لو أنَّ مولىً بعبدٍ فُدِي

ومن أفضل قصائده تلك العينية التي يختمها بقوله للإمام علي رضي الله عنه:

آبايَ في فارسٍ، والدِّينُ دينُكُمُو
حقاً لقد طاب لي أُسٌّ ومرتَبَعُ

سوَّلتْ نفسي غروراً إنْ كفلتُ لها
أني بذخرٍ سوى حبِّك أنتفعُ

ثانياً: شعراؤنا المعاصرون[1]:

ويمكن أن نلحق بشعراء أهل البيت في عصرنا هذا كل أصحاب الأسماء التي ذكرناها آنفاً من مداحي مولانا رسول الله ﷺ. فلكلٍّ من معاصرينا جولات شريفة، ونخص منهم الأخ

---

(١) ويلحق بشعراء أهل البيت عدد كبير من الشعراء المحمديين، شعراء العشيرة المحمدية، تلك الحلقة التي أنشأها شيخنا الإمام الرائد. ومنهم شاعر أهل البيت الأستاذ محمود جبر، والأستاذ قاسم مظهر، والأستاذ الربيع الغزالي، والأستاذ عبد الله شمس الدين، والأستاذ محمد التهامي، والدكتور حسن جاد.. وغيرهم.

المحسب عباس الذيب[1]، فقد وهبه الله مقدرة التأليف، وحسن الإلقاء، وبهجة الإنشاد، وحلاوة التلحين، زاده الله خيراً وبركة، وتصوفاً مستنيراً.

ثالثاً: كاتب هذا البحث:

وأستأذن - مستغفراً الله - في رجاء أن أعتبر نفسي ملحقاً بشعراء الرسول وأهل بيته، وأني بحمد الله من آل البيت، بما قدمت في شعري من جهد المقل، تبركاً بجدي رسول الله، وآل بيته الأطهر، وأعوذ وأستغفر الله وأتوب إليه، وحسبي نموذجاً من كل ذلك قولي:

أُحِبُّ النَّبِيَّ وآلَ النَّبِيِّ
وأَحْبابَهُم والذينَ مَعَهُ

---

(١) عباس حسن الذيب (ت: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م)، من الشعراء المحدثين، ربطته بشيخ الإمام الرائد أواصر المحبة، له عدة دواوين شعرية، وديوان نثري، وله شعر بمجلة المسلم، وانظر مقطوعة شعرية له مع الإمام الرائد في ديوان البقاء.

ويُبْـعِدُني غَضَـبُ (النّاصبي)[1]

فلَسْتُ بِنَـذْلٍ ولا إمَّعَـةْ

وقولي في مقطوعة أخرى:

بنفـسي آلَ طه مَنْ حِباهُم

إلهي في الحياةِ وفي المماتِ

فلولا أنهُم خَيـر البرايـا

لَمَا صَلّى عليهم في الصَّـلاةِ

أَلَيْـسَ هُمُـو وإنْ قَصَّرْتُ أَهْـلي

وآبـائي الكـرامُ وأُمّـهَاتي

أحبهمُو. وأَفْنَى في هَـوَاهُـم

ولا أخشى الذين أو اللواتي

(١) النواصب: خصوم أهل البيت والذين لا يطيقون أن يذكروا بمنقبة حتى يحاولوا باسم السنة والسلفية نقضها.

وأختم بهذه المقطوعة، تاركاً كثيراً جداً من طوال القصائد النبوية[1]، عسى أن تكون شفاعتنا عند الله:

من حَقِّ (يثرب) أن تتيه على الوَرَى
بِرُفَاتِ خَيْرِ الخَلْـقِ (مولانا النَّبيّ)
ولمصر حَـقٌّ أن تَتِيـهَ بدَوْرِهَـا
بِرُفَاتِ (مولانا الحسين وزَيْنَب)[2]

وإلى هنا نستغفر الله ونتوب إليه مِنْ زلات اللسان والقلم، ونقـرر أنَّ ما كتبناه هنا ما هو إلا عناوين على هذه الموضوعات المترامية الأبعاد، الزخارة بالمعارف والتواريخ، والتي لم تأخذ

---

(١) كقصيدة شيخنا الإمام الرائد «مولد النور»، وقصيدته في مدح السيدة زينب بنت الإمام علي، وغيرها من القصائد في ديوانه الباقيات.

(٢) البحث النزيه الذي حققه المؤرخون من أمثال الدكتورة سعاد ماهر، والمرحوم حسن قاسم وأمثالهم أن رأس الحسين بمصر رغم تشغيب بعض المتساقطين، وأن رفات السيدة زينب بمشهدها المبارك بمصر، وراجع إن شئت كتب سعاد ماهر وكتاب «مراقد أهل البيت في القاهرة» لصاحب هذا البحث، وغفر الله للجميع.

حظه من التحقيق العلمي الكافي، الذي نرجو أن نعالجه إن كان في العمر مدة بإذن الله.

ونعوذ فنستكفي الله ونستعفيه ونسترضيه، متوسلين إليه بما يحب ويحسن بحب وبصدق القصد، وطهارة النية، وإرادة وجهه الكريم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه وأمته جميعاً.

خادم العلم والتصوف

محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

استدراك

أئمة المحدِّثين ألفوا الموالد[1]

كما ذكرنا بعض كبار العلماء والصلحاء وأهل اللغة والأدب، ممن كان لهم قصب السبق في تأليف الموالد النبوية، نتمم هذا الباب بذكر طائفة من كبار الحفّاظ والمحدِّثين، الذين أجمع على إمامتهم وفضلهم زعماء السلف والخلف، معتذرين عن تأخير هذا الفصل عن موضعه في الرسالة لملابسات قهرية طارئة. ونذكر من هؤلاء الأئمة:

أولاً: الحافظ محمد بن أبي بكر بن عبد الله القيسي الدمشقي

---

(١) راجع (المولد النبوي) للسيد محمد علوي المالكي. قلتُ: وقد طُبِعَ من كتب المولد النبوي لأئمة أعلام ما يقارب المئة، وما زال الكثير من كتب المولد النبوي مخطوطاً في دور الكتب في انتظار طباعته.

ولشيخنا الإمام الراشد المولد المحمدي «**المورد الصغير من المورد الكبير**»، وهي فصول مختارة من رسالته الكبرى: «**المورد العلوي الأنفس في ذكرى المولد النبوي الأقدس**»، ورسالة المولد المحمدي مطبوعة. أما أصلها فما زال مخطوطاً، نسأل الله أن يوفقنا لإخراجه.

الشافعي المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، المولود سنة (٧٧٧ هـ)، والمتوفى سنة (٨٤٢ هـ).

وقد تولّى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، وصنف في المولد الشريف أجزاء عديدة، فمن ذلك «جامع الآثار في مولد النبي المختار» في ثلاث مجلدات، و«اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق». قال ابن فهد: وله أيضاً «مورد الصادي في مولد الهادي».

ثانياً: الحافظ عبدالرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المصري الشهير بالحافظ العراقي، المولود سنة (٧٢٥ هـ)، والمتوفى سنة (٨٠٨ هـ)، صنف مولداً شريفاً أسماه «المورد الهني في المولد السني» ذكره ضمن مؤلفاته غير واحد من الحفاظ مثل ابن فهد والسيوطي في ذيولهما على التذكرة.

ثالثاً: الحافظ محمد بن عبدالرحمن بن محمد القاهري المعروف بالحافظ السخاوي، المولود سنة (٨٣١ هـ)، والمتوفى سنة

(٩٠٢ هـ)، بالمدينة المنورة. قال في كشف الظنون: إنّ للحافظ السخاوي جزءاً في المولد الشريف ﷺ.

رابعاً: الحافظ الإمام مُلا علي قاري ابن سلطان بن محمد الهروي المتوفى سنة (١٠١٤ هـ) صاحب (شرح المشكاة)، صنف في مولد الرسول ﷺ كتاباً، قال صاحب كشف الظنون: واسمه «المورد الروي في المولد النبوي». وقد حققه وعلق عليه وطبعه السيد محمد علوي المالكي.

خامساً: الحافظ الإمام عماد الدين إسماعيل ابن عمر بن كثير صاحب التفسير المتوفى عام (٧٧٤ هـ): وقد صنف مولداً نبوياً طبع أخيراً بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

سادساً: الحافظ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الديبع الشيباني اليمني الزبيدي الشافعي، ولد في المحرم سنة (٨٦٦ هـ)، وتوفي في رجب الفرد سنة (٩٤٤ هـ): وقد صنف مولداً نبوياً مشهوراً في كثير من البلاد، وقد حققه وعلق عليه السيد محمد علوي مالكي.

* ولعلنا بهذا الإجمال نكون قد أرحنا ضمائر أحباب رسول الله ﷺ وأهل بيته، وعَلِمَ مَنْ لم يكن يعلم أن تأليف هذه الموالد لم يكن بدعة مستنكرة، وأن له من الآثار ما وفق إليه الله هؤلاء الكبار *

تم بحمد الله

---

* تمت (الطبعة الثالثة) من هذه الرسالة القيمة «فقه الصلوات والمدائح النبوية» لفضيلة الأستاذ الإمام السيد محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي رائد العشيرة المحمدية رحمه الله تعالى. وكان الفراغ منها في يوم الثلاثاء ٢٩ من جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ الموافق ٣/ ٥/ ٢٠١١ م، وقد اعتنى بها وعلق عليها تلميذ الإمام الرائد: محيي الدين حسين يوسف الإسنوي من خريجي الأزهر الشريف. ولله الحمد والمنة والفضل، وهو الموفق المستعان *

من بركات الصلوات

على سيدنا رسول الله ﷺ (١)

للإمام الرائد سيدي محمد زكي إبراهيم رضي الله عنه

قبل وفاة المغفور له أخونا الداعية المجاهد، السيد أحمد عبدالسلام الحلواني بأسبوع حدثني حديثًا تليفونيًّا أجبت عليه بهذا الخطاب الذي أسجله هنا لله وللتاريخ. ونصه:

« أخي في الله تعالى السيد الداعية المجاهد الصابر العالم العارف الوارث:

الأستاذ أحمد عبدالمنعم الحلواني – رضي الله عنه –.

سلام الله عليكم وتحياته، ورحماته وبركاته، ولكم أمداده ونفحاته، وبعد:

فقد شرفتني مشكورًا مقدورًا بحديثك التليفوني المبارك، فعهدت إليَّ أن أكتب إليك شيئًا من تجارب أبي أو تجاربي للصلاة

(١) مجلة المسلم، السنة (٢١)، العدد (٧)، غرة صفر ١٣٩١هـ، ٢٨ مارس ١٩٧١م، كلمة الرائد، ص ٩-١٢.

على النبي ﷺ وبعض ما عسى أن يكون خاصًا بالطريقة المحمدية من صلوات نبوية، لتضمه إلى الجزء الثاني من كتابك الجديد في هذا الباب».

وهذا جانب فسيح لا يمكن تلخيصه في سطور لكنني أذكر هنا نماذج مختارة قليلة، إن شاء الله، وعندما يكون ما نقرره غريبًا على الجدليين الذين لا معاناة لهم في هذا الباب. فليس ذلك مما يغير شيئًا من هذه الحقيقة على الإطلاق. وحين يقول بعضهم إنه نوع من الإيحاء أو الاستهواء أو العلاج النفسي. فحسبنا أن يعترف بأن هناك أثرًا فعليًا لما نمارسه، وقد أعددنا لهؤلاء جميعًا عندنا عذر، هو صدقة عنا لوجه الله.

فأما عن تجارب أبي، فقد شهدته مرة يوصي أخانا في الله المرحوم فضيلة الشيخ عبدالعال بشنك ناظر أوقاف شيخ الإسلام الإنبابي وقتئذ، وقد هده المرض وتخلف عنه الطب وأحاط به اليأس. أن يشغل كل فراغه ليلًا ونهارًا بهذه الصيغة حتى يذوب في معانيها وهي:

« اللَّهُـمَّ صَلِّ بِكُلِّ صلواتِكَ في أبهى بهائها على سـيِّدِنا محمَّد

طِبِّ القُلوبِ ودوائها وعافيةِ الأبدانِ وشفائها. ونورِ الأبصارِ وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلِّم ».

ولم يمض نحو شهر، حتى رأيت بعينيَّ رأسي هذا الرجل العالم الفاضل الذي نيف على السبعين عامًا يأتي صحيحًا معافى، ويقرر أمام الإخوة أنه رأى في منامه من حمله إلى المستشفى فأدخله وأجرى عليه كشفًا دقيقًا، وأمر أن تعمل له عملية عاجلة، وقد عملت عمليته في الرؤيا فعلًا، وكلفه الطبيب بالسير على منهج صحي خاص لمدة ثلاثة أيام، خرج منها سليمًا كأنه شاب في العشرين، وكان مما أمره به طبيب الرؤيا أن يلازم هذه الصلاة لمدة ثلاثة شهور عدة مرات بعد ختام كل صلاة، ثم يلازمها بعد هذا ما استطاع.

وقد تكرر هذا الشأن على نحو هذا أو قريب منه مع بعض إخواني في الله.

وكان والدي - رضي الله عنه -، يوصي في مدافعة البلاء الحسي أو المعنوي أن يكثر المريد من صيغة:

« اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه واكْشِفْ أو اصرف عنَّا السوء » ..

وقد نجحت هذه الصيغة في مسائل شتى يكثر سردها، منها قضية من أشهر القضايا في تاريخ مصر الحديث، ولا زلت آذن - على علاتي - بها بعض إخواني في الله فيجدون بركتها وأثرها بمقدار محصول كل واحد منهم من الحب والثقة وصدق العقيدة.

وليس معنى هذا ترك الأسباب والوسائل الكونية، بل المعنى أن تمارس هذا وهذا في وقت معًا، على أن لزوم الصلاة عليه ﷺ في ظاهرها سبب كوني أيضًا، وفي باطنها سر إلهي قطعي؛ وإنما هي نمط من التوسل والدعاء المستجاب بإذن الله على أبسط التصورات.

وقد حدث لي شخصيًا في عام (١٩٦٠ - ١٩٦١) ثالث مشكلة مدمرة مذهلة امتحنني الله بها في حياتي العملية الرسمية، وقد كاد يطير بها لبي من كثرة ما حدث بها من مفارقات ومفاجآت وفواجع. وقد انسدت أمامي كافة الطرق والأبواب

وأحاط بي البلاء من كل جانب ولم أجد إلا أن اكتفيت فيها بالله وليًا ونصيرًا.

وفي إحدى ليالي المحنة، وهي على الذروة والمنتهى، وقد بلغ بي اليأس من إحقاق الحق غايته، أخذتني سِنَةٌ من النوم، وكنت قلما أنام، فإذا بروح جدنا الشيخ أبي عليان الشاذلي - رضي الله عنه - تزورني وتأذنني ضمن رؤيا طويلة بالتوسل بأسماء الله التي في سورة الفاتحة وآية الكرسي، ثم بملازمة هذه الصيغة بكل ما في الطاقة، وسعة الوقت، ونصها:

« اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ على سيِّدنا ومولانا محمَّدٍ بكُلِّ ما أحاطَ به عِلْمُكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وأَنِلْنا مِنْ خيرِ ما أحاطَ به عِلْمُكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وأَعِذْنا مِنْ شَرِّ ما أحاطَ به عِلْمُكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، ببركةِ أَحَبِّ أحبابِكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، المصطفى المُقْتَفَى المُشَفَّعِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وعلى آله وصحبِهِ وتابعيه إلى يوم الدِّين ».

وقد ردد جدي عليَّ الصيغة مرات في الرؤيا على طريق التلقين حتى حفظتها، واستيقظتُ وهي على فمي، وكلي أمل

وانشراح، فكتبتُها لنفسي، وما إن لازمتها حتى استقبلني المحققون في صباح اليوم الثالث من قراءتها فرحين يهنئونني ويستغفرون لذنبهم ويسألونني صالح الدعاء. وقد كتب الله لي الحج والزيارة بعدها مباشرة بغير سعي مني ولا استعداد.

أمّا هذه الصيغة فلم أقرأها في كتاب؛ ولا وصل إلى علمي نسبتها إلى أحد من الأشياخ، فهي إذن صلاة جدنا وشيخنا الإمام أبو عليان الشاذلي، وقد انتفعتُ بها في سلوكي إلى الله وفي حياتي العامة انتفاعًا قد لا تطيقه بعض العقول.

وأخيرًا قصة (**الصلاة المحيطة**) وهي ملخصة في مقدمتها برسالة (**في حضرة الله**) الجامعة لبعض أوراد وأحزاب الطريقة المحمدية وإنه ليسعدني أن أتبرك بإرسال نسخة إليكم من هذه الرسالة مع كتابي هذا سائلًا غض البصر عما بها من الهفوات، طالبًا من أخي وسيدي وأستاذ الجميع دعوات صالحات لي بظهر الغيب. فإني إليها محتاج، مع رجاء قبول حسن محبتي لكم وحسن تقديري جهودكم وحسن اعتزازي بحبكم وحسن اعتقادي في شخصكم.

وحين لا تطيق عقول بعض الناس هذا الذي نقوله فعذرنا أننا جربنا وكررنا تجربتنا فليس من الممكن بعد هذا أن ندع يقيننا من أجل ظنون غيرنا، وأولى بالمكذب أن يجرب فلعله إنْ سار على الدرب وصل.

والسلام عليكم ورحمة الله.

أيضاً من بركات الصلاة على سيدنا المصطفى ﷺ(١)

في عدد صفر من (المسلم) نشرنا الخطاب الذي كنا قد وجهناه إلى أخينا في الله تعالى الواصل المغفور له السيد أحمد عبدالمنعم الحلواني، استجابة لرغبته في إثبات بعض تجارب أحباب رسول الله، مع الصلاة عليه ﷺ في الجزء الثاني من الكتاب الذي سماه «فقه الصلاة على النبي ﷺ»، وصدر منه الجزء الأول قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بأيام !!

(١) مجلة المسلم، السنة (٢١)، العدد (١١)، غرة جمادى الآخرة ١٣٩١هـ - ٢٣ يوليو ١٩٧١م، كلمة الرائد، ص ٨-١٠.

وكان أن تلقينا بعد النشر عدداً من تجارب المحبين للصلاة والسلام على خير الأنام، وبخاصة صلاة البهاء:

« اللَّهُمَّ صَلِّ بكُلِّ صلواتِكَ في أبهى بهائها على سيِّدِنا محمَّدٍ طِبِّ القُلوبِ ودوائِها، وعافيةِ الأبدانِ وشفائِها، ونورِ الأبصارِ وضيائِها، وعلى آله وصحبه وسَلِّم ».

ونشرنا نموذجًا من هذه التجارب الصادقة في العدد الماضي من (المسلم) وافانا به أخونا في الله فضيلة الشيخ محمد الحبيب، مراقب المحاكم الشرعية بالسودان (الفاشر - دارفور)، وكان صاحب التجربة هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مالك، واعظ بعثة السودان إلى الحج رضي الله عنهما وعن الواثقين بالله جميعًا، (ونرجو أن يكون مفهومًا أننا نعرف هنا رأي علماء النفس).

وبينما هذه القصة العجيبة في (مطبعة المسلم) استقبلت دار العشيرة سيادة الأخ الكاتب الشاعر المعروف الدكتور مختار الوكيل رئيس وفد الجامعة العربية الدائم بالأمم المتحدة سابقًا، ومدير عام الإدارة الاقتصادية بالجامعة العربية الآن، وفي صحبته الكاتب الشاعر الكبير الأستاذ عامر بحيري المدير العام بوزارة الثقافة.

وفي حضرة طائفة من شباب العشيرة منهم النقيب الطيار يوسف نصار، والسيد محمد عبدالحافظ الخولي الأستاذ بمدرسة أشمون الزراعية، والسيد جاد عبدالعزيز المحامي بوزارة الإسكان، قصَّ السيد الأستاذ مختار الوكيل هذه القصة، قال: إنه كان يمارس هوايته المفضلة (التنس) فأصيبت رجله اليمنى إصابة بالغة، واستمر يعالجها بمصر والخارج، حتى أمرضه العلاج وساوره اليأس. ثم كان أن قرأ في (المسلم) خطابنا إلى المرحوم السيد الحلواني، فأعجبته (صلاة البهاء) فلازمها بعقيدة وصدق وإيمان وثقة، فلم يكد يمر شهر واحد عليه حتى عافاه الله ببركة هذه الصلاة معافاة تامة. فرأى قبل أن يعود إلى ممارسة هوايته أن يزور (دار العشيرة والمسلم) مقررًا هذا الحادث (المعجز) راجيًا أن يبلغ صوته إلى الآذان النادية للإحاطة بأن لله تعالى أسرارًا في أشياء حسية ومعنوية لا يطيق العقل تصديقها لولا وقوعها فعلًا، ثم تكرار هذا الوقوع كما حدث مثلًا في ملازمة هذه الصلوات. وإنّ الإيمان الصادق الكامل والوثوق بالله يأتي بالعجب العجاب.

ونحن نسجل هذا أيضاً على أساس البيان الذي عقبنا به في العدد الماضي على إكرام الله للعبد واعظ السودان في رد بصره بعد فقده ببركة هذه الصلاة وبعد اليأس المطلق من الشفاء، وإن كنا نعتقد من أعماقنا أن مشيئة الله لا يحكمها سبب مخلوق، وأن الأسباب الموصلة إلى المسببات لم يأت في تحديدها لون ولا نوع ولا كيف ولا كمية مخصصة، وأن ادعاء الإحاطة بالنواميس الكونية أكذوبة عريضة، هي عين المهزلة، ثم إنه لا يتم الإيمان إلا عند الوقوف مع قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[1].

آمنا بالله، ووثقنا به، وصدقنا بقدرته، وآمنا برسوله ﷺ وببركات الصلاة عليه، وبكل ما عند (صيادلة) الغيب من أوزان ومعايير، وقيود وحدود.

اللهم فصل وسلم وبارك عليه صلاة هي شفاء أمراض الظاهر والباطن في الأجسام والأرواح والعقول والقلوب.

* * *

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٠.

الصلاة المحيطة

للإمام الرائد سيدي محمد زكي إبراهيم ﷺ

هذه الصلاة ككثير غيرها مما تكتبه شيخنا الإمام محمد زكي إبراهيم رحمه الله تعالى، كانت بإذن روحاني صحيح.

وقد زاره الإمام الوالد رضي الله عنه - من عالم البرزخ - في مشهد روحي، ثم في رؤيا صادقة مكررة، وسمع منه هذه الصلاة المباركة، وهو الذي سماها (الصلاة المحيطة) وقال: إنها بإذن الله ربما جمعت أفضال وأسرار ما تقدمها وما يأتي بعدها.

قال: ومن خصائصها البعد عن التغالي والدعاوى، والرمز والإشارة، والتعقيد اللغوي والمعنوي، فربما أغنت المتعبد بها عن كثير مما سواها مما هو في بابها بإذن الله، في كل ما يطلبه من الله متوسلا بها إليه تعالى. وقد شرفته روح مولانا رسول الله ﷺ بالزيارة الروحية في مشهد ورؤيا صادقة وبشرته بالرضا عن هذه الصلاة، ولهذا كان الأمل البالغ في استجابة الله تعالى للداعي بها إن أخلص وصدق، ولله الحمد.

وهذا هو نص الصلاة المحيطة:

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ. كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ، سِرِّ أَسْرَارِكَ، وَنُورِ أَنْوَارِكَ، الَّذِي لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ غَيْرُكَ، وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَكَ غَيْرُهُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَصَفْوَتِهِ، وَعَلَى كَافَّةِ أَحْبَابِهِ وَعَامَّةِ أُمَّتِهِ، وَعَلَى إِخْوَانِهِ السَّابِقِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَوْلِيَاءِ اللهِ أَجْمَعِينَ فِي السَّالِفِينَ وَالْخَالِفِينَ.

اللَّهُمَّ وَاجْزِهِ عَنَّا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَمَا هُوَ أَهْلُهُ صَلَاةً وَسَلَامًا سَعَةَ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ، وَزِنَةَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَقَدَاسَةَ الْعَرْشِ وَالسِّدْرَةِ، وَإِحَاطَةَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَكَمَالَ الْغَيْبِ وَالْحَضْرَةِ، وَخُلُودَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، عَدَدَ الْمَعْلُومِ وَالْمَجْهُولِ، وَالْمَنْظُورِ

وَالمَسْتُورِ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَالسَّابِقِ وَاللاحِقِ . وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ عَدَدَ خَلْقِكَ ، وَرِضَاءَ نَفْسِكَ ، وَزِنَةَ عَرْشِكَ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ . وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ ، وَخَطَّ بِهِ قَلَمُكَ ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ .

اللَّهُمَّ وَضَاعِفِ الصَّلاةَ وَالسَّلامَ عَلَيْهِ ، فِي كُلِّ الأَنْفَاسِ وَاللَّمَحَاتِ ، عَلَى تَلاحُقِ الأَزْمَانِ وَالأَوْقَاتِ ، بِقَدْرِ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَرَكَاتٍ وَسَكَنَاتٍ ، وَصَوَامِتَ وَنَاطِقَاتٍ ، وَمَعَالِمَ وَعَلامَاتٍ، وَهِمَمٍ وَإِرَادَاتٍ ، وَخَفَقَاتٍ وَخَلَجَاتٍ ، وَعَجَائِبَ وَمُغَيَّبَاتٍ ، وَعَدَدَ كُلِّ المَخْلُوقَاتِ المَعْرُوفَاتِ وَالمَجْهُولاتِ، ثُمَّ ضَاعِفْهَا اللَّهُمَّ بِعَدَدِ مَا فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ بِمَا اخْتَصَصْتَ بِهِ مِنْ أَسْرَارٍ وَتَجَلِّيَاتٍ ، وَإِفَاضَاتٍ وَإِضَافَاتٍ ، وَشُئُونٍ إِلَهِيَّاتٍ قُدُسِيَّاتٍ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ صَلاةً وَسَلامًا يَلِيقَانِ بِحُبِّكَ لَهُ وَحُبِّهِ لَكَ . وَحُبِّ عَوَالِمِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالرُّوحِ وَالمَلَكِ ، صَلاةً لَهَا فَضْلُ مَعَالِمِ أَكْوَانٍ مَا فَوْقَ المَدَارِكِ وَالتَّصَوُّرَاتِ ، وَمَا تَعْجَزُ

عَنْهُ الأَلْفَاظُ وَالعِبَارَاتُ ، وَمَا لا تُحِيطُ بِهِ الرُّمُوزُ وَالإِشَارَاتِ ، فِي جَوَامِعِ كَافَّةِ الأَلْسُنِ وَاللُّغَاتِ ، وَمَا يُسَبِّحُ لَكَ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، بِأَلْسِنَةِ الحَالِ ، أَوْ أَلْسِنَةِ المَقَالِ ، مِنْ كُلِّ مَاضٍ وَآتٍ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ صَلاةً تُحِيطُ بِفَضْلِ كُلِّ صَلاةٍ سَابِقَةٍ ، وَتَخْتَصُّ بِخُصُوصِيَّةِ كُلِّ صَلاةٍ لاحِقَةٍ ، وَتَفُوقُ مَا يَخْطُرُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ صَامِتَةٍ أَوْ نَاطِقَةٍ ، وَتُحَصِّلُ أَسْرَارَ صَلَوَاتٍ مَا فَوْقَ الأَلْبَابِ ، فِي مَكْنُونِ اللَّوْحِ وَأُمِّ الكِتَابِ ، مِنْ كُلِّ مَا أَثْمَرَتْهُ العُقُولُ وَالفُهُومُ ، وَكُلِّ مَا تُثْمِرُهُ إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ صَلاةً نَامِيَةً مُضَاعَفَةً أَبَدًا لا تُحْصَى عَدَدًا ، وَلا تُحْصَرُ أَمَدًا ، وَلا تُوصَفُ مَدَدًا ، دَائِمَةً سَرْمَدًا ، حَتَّى تَرْضَى يَا رَبِّ وَيَرْضَى ، وَحَتَّى يَعُمَّنَا رِضَاكَ وَرِضَاهُ ، فَنَسْتَعِزُّ وَنَرْضَى .

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِهَذِهِ الصَّلاةِ عَنْ كُلِّ صَلاةٍ ، وَاعْذُرْنَا بِالعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِّهِ وَمَدَاهُ ، وَوَفِّقْنَا بِهَا إِلَى كُلِّ مَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ ، وَاصْرِفْ عَنَّا بِهَا مِنَ السُّوءِ مَا نَخَافُهُ وَنَخْشَاهُ ، وَاشْفِنَا بِهَا مِنْ كُلِّ مَرَضٍ

ظَاهِرًا كَانَ أَوْ بَاطِنًا ، حِسِّيًّا كَانَ أَوْ نَفْسِيًّا ، وَاقْضِ بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ مِنْ حَاجَاتِنَا مَا نَتَأَمَّلُهُ وَنَتَمَنَّاهُ ، وَاكْفِنَا بِهَا مَكْرَ الْخُصُومِ وَالْعِدَاةِ، وَبَلِّغْنَا بِهَا مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ أَقْصَى غَايَتِهِ وَمُنْتَهَاهُ . وَلا تُذِلَّنَا لِعَبْدٍ مِنْ عَبِيدِكَ . يَا اللهُ ، يَا اللهُ ، يَا اللهُ ، وَأَنِلْنَا بِهَا أَعْلَى دَرَجَاتِ الْقُبُولِ، فِي السُّلُوكِ وَالْقُرْبِ وَالْوُصُولِ .

اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ شَرَّ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ . وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ الْحَشْرِ . وَالْهَمِّ وَالْحَزَنِ . وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ . وَسُوءِ الْمَآلِ. وَأَعِذْنَا بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ .

اللَّهُمَّ وَتَعَطَّفْ بِبَرَكَتِهَا عَلَيْنَا ، وَاكْشِفْ عَنَّا مَا نَزَلَ بِنَا ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلانَا فَحُفَّنَا بِلُطْفِكَ الْخَفِيِّ (يَا لَطِيفُ، يَا لَطِيفُ ، يَا لَطِيفُ) .

وَاخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ الْخَيْرِ قَبْلَ الْمَوْتِ . وَخَفِّفْ عَلَيْنَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ، وَاعْصِمْنَا عِنْدَ الْفِتْنَةِ الْكُبْرَى ، وَثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى ، وَذَكِّرْنَا بِالْجَوَابِ عِنْدَ السُّؤَالِ وَمَآسِيهِ، وَآنِسْ وَحْدَتَنَا فِي الْقَبْرِ وَخَوَافِيهِ ، وَاحْفَظْنَا مِنْ أَهْوَالِهِ وَآمِنَّا مِمَّا فِيهِ، وَاجْعَلْهُ بِمَحْضِ الْفَضْلِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ جَنَّاتِكَ، وَقَرِّبْنَا

مِنْ مَقامِ الْحَبِيبِ ﷺ بِمَنِّكَ وَحَنانِكَ ، وَمَتِّعْنا بِشَرَفِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الأَقْدَسِ ، وَاسْلُكْنا فِي مَوْكِبِ اسْتِماعِ صَوْتِكَ الأَنْفَسِ ، وَلا تَحْرِمْنا شَرابَ الأُنْسِ بِكَ ، وَالْقُرْبِ مِنْكَ ، وَالأَخْذِ عَنْكَ ، وَالْوُصُولِ إِلَيْكَ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَاسْلُكْنا فِي سَلْكِ أَهْلِ سِرِّكَ وَبِرِّكَ ، وَالأَخْذِ مِنْ خَيْرِكَ ، لا مِنْ غَيْرِكَ .

اللَّهُمَّ وَاخْلُفْنا عَلَى مَنْ بَعْدَنا بِالْخَيْراتِ . وَلا تَكْشِفْ عَنَّا وَلا عَنْهُمْ سِتْرَكَ فِي الحَياةِ وَلا بَعْدَ المَماتِ . وَاعْصِمْنا وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْقَواطِعِ وَالْمُناجَاتِ .

اللَّهُمَّ وَتَعَطَّفْ بِمِثْلِ ذَلِكَ عَلَى والِدِينا وَأَوْلادِنا ، وَعَلَى أَهْلِينا وَأَزْواجِنا ، وَعَلَى إِخْوانِنا وَأَحْبابِنا ، وَعَلَى أَشْياخِنا جَمِيعًا فِي اللهِ ، وَعَلَى كُلِّ وَلِيٍّ أَوّابٍ أَوّاهٍ ، يا رَبّاهُ ، يا مَوْلاهُ ، يا غَوْثاهُ ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ، يا غِياثِي عِنْدَ كُلِّ كُرْبَةٍ ، يا مُجِيبِي عِنْدَ كُلِّ دَعْوَةٍ ، يا مَعاذِي عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ ، يا رَجائِي حِينَ تَنْقَطِعُ حِيلَتِي ، يا حَنّانُ يا مَنّانُ ، يا عَظِيمَ الشَّأْنِ ، يا وَلِيَّ النِّعَمِ وَمَوْلَى الإِحْسانِ ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، يا بَدِيعَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ ، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ ، آمِينَ .

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ .

فهرست الموضوعات

الموضـــــــوع	ص
مقدمة	٥
هذه الرسالة الشريفة: فقه الصلوات والمدائح النبوية	٧
تقديم	٩
القســـم الأول: مـع آيـة الصـلاة والتسليم	١١
١) واجب الصّلاة والسلام عليه	١٣
٢) صيغ الصّلاة والسّلام	٢٣
٣) مسلك الوضوح والتصريح	٢٦
١ - من صلوات الإمام علي رضي الله عنه	٢١
٢ - من صلوات ابن مسعود رضي الله عنه	٢٨
٣ - صلاة الإمام الشّافعي	٢٩
٤ صلاة الشّاذلي	٣٢
٥ - صلاة الشيخ التازي	٣٣
٦ - لفتة إلى التوسل	٣٤
٧ - الصّلاة العظيمية	٣٥
٨ - صلاة الفاتح	٣٧
٩ - الصلوات المنظومة الصريحة	٣٩
٤) الصلوات الرمزيـة	٤١

أولاً: المقصود بالصلوات الرمزية	٤١
ثانياً: موقف الإنصاف والاحتياط	٤٨
ثالثاً: صلاة ابن بشيش	٥١
رابعاً: العقائد المنحرفة	٥٤
خامساً: ياقوتة الشيخ محمد الفاسي	٥٤
سادساً: صلاة الشيخ البدوي	٥٦
سابعاً: صلاة ابن عربي	٥٧
ثامناً: مجموعات الصلوات	٥٨
مؤلفات الصلوات	٦١
أولاً: الدلائل والأحاديث الضعيفة	٦١
١- أسماء النبي في الدلائل	٦٤
٢- حلقات الدلائل	٦٦
ثانياً: تأليف ابن إدريس والمرغني	٦٧
ثالثاً: أنوار الحق	٦٨
رابعاً: مؤلفات أخرى	٧٠
خامساً: قولهم عدد كذا وكذا	٧١
سادساً: ختام القسم الأول	٧٤
ملحقات هامة بالقسم الأول	٧٥
أولاً: لمحة من فضل الصَّلاة عليه	٧٥
ثانياً: من فضل الصَّلاة على آله وذريته	٨١

ثالثاً: إحسان الصّلاة والسّلام عليه	٨٤
رابعاً: نعم، الرسول سيدنا	٨٧
خامساً: خوارق ليلة المولد وغيرها	٩٤
القســـم الثاني: المولـــد	٩٩
أولاً: المقصود من عبارة المولد	١٠١
ثانياً: تاريخ تأليف الموالد	١٠٣
ثالثاً: أشهر تأليف الموالد	١٠٥
رابعاً: مناهج مؤلفي الموالد وحكمها	١٠٧
خامساً: قصة آخر مولد عُرف	١٠٩
- الموشحون والمذهبجية	١١٠
- الشيخان: النقشبندي وطوبار وآخرون	١١٢
- المدّاحون والسيرة	١١٤
القسم الثالث: الأمداح النبوية	١١٧
أولاً: المدح المنثور	١١٩
- من كلمات الإمام علي	١٢٠
ثانياً: المدح الشعري عند السلف	١٢٢
- عودةٌ إلى حسان بن ثابت	١٢٥
ثالثاً: بعض الخلف من شعراء المدائح النبوية	١٢٩
رابعاً: معارضات البردة وتنظيرها	١٣١
خامساً: شرح البردة ودراستها	١٣٢

سادساً: زكي مبارك والبردة	١٣٣
سابعاً: والآن: مَنْ هو البوصيري؟	١٣٥
ثامناً: ابن نباتة والحموي والبرعي	١٣٨
- أسماء بعض كبار مداحي الرسول	١٤٠
- نماذج من البردة	١٤١
القسم الرابع: «شعراء أهل البيت»	١٤٣
أولاً: من سلف شعراء أهل البيت	١٤٥
١- الكُمَيت بن يزيد الأسدي	١٤٥
٢- ومنهم دِعْبِل بن علي الخزاعي	١٤٧
٣- ومنهم الفرزدق	١٤٩
٤- الشريف الرَّضي	١٥١
٥- مهيار الديلميّ	١٥٤
ثانياً: شعراؤنا المعاصرون	١٥٦
ثالثاً: كاتب هذا البحث	١٥٧
- استدراك: أئمة المحدِّثين ألفوا المولد	١٦١
- من بركات الصلوات على سيدنا رسول الله ﷺ	١٦٥
- أيضاً من بركات الصلاة على سيدنا المصطفى ﷺ	١٧١
- الصلاة المحيطة	١٧٥
- فهرست الموضوعات	١٨١

* * *

من مؤلفات شيخنا الإمام الرائد رحمه الله:

١- أبجدية التصوف الاسلامي.

٢- أصول الوصول.

٣- الخطاب: هذا هو تصوفنا.

٤- الإفهام والإفحام (قضايا الوسيلة والقبور).

٥- السياسة بين الزوجين في الاسلام.

٦- الاسكات بركات القرآن على الأحياء والأموات.

٧- الفروع الخلافية ومشروعية العمل بأحد الوجهين فيها.

٨- مراقد أهل البيت في القاهرة.

٩- معالم المجتمع النسائي في الاسلام.

١٠- أهل القبلة كلهم موحدون.

١١- السلفية المعاصرة إلى أين؟!

مؤلفات لشيخنا الرائد تطبع لأول مرة

(تصدر قريبا ان شاء الله)

١- الخوارق والكرامات.

٢- إعلام الأعلام بأحكام التحية في الاسلام.

٣- ديوان المثاني (٤ أجزاء).

٤- التبصير في الطب النبوي.

٥- اصطلاحات الصوفية.